

د. عبد الله الطارقي

# كل نفس

المصطلح النفسي والقرآن الكريم

من التأسيس للعلاقة إلى التأثير في الممارسة

تقديم

د. جمال التركي

رئيس شبكة العلوم النفسية العربية

أ. د. صالح بن ابراهيم الصنيع

قسم علم النفس بجامعة الإمام سابقًا

# كلُّ نفسٍ..!

المصطلح النفسي والقرآن الكريم

من التأسيس للعلاقة إلى التأثير في الممارسة

د. عبد الله الطارقي

تقديم

أ.د. جمال التركي

رئيس شبكة العلوم النفسية العربية

أ.د. صالح بن إبراهيم الصنيع

قسم علم النفس بجامعة الإمام سابقاً

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كلُّ نفس: المصطلح النفسي والقرآن الكريم  
من التأسيس للعلاقة إلى التأثير في الممارسة

د. عبد الله الطارقي

ردمك: ١-٠٢٦١-٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١-القرآن - مصطلحات ٢- القرآن - ألفاظ

ديوي ٣, ٢٢٠

رقم الإيداع: ٦٨٧٧/١٤٤٠

ردمك: ١-٠٢٦١-٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

تنسيق: الأستاذ: فهد بن محمد العفيف

صف وإخراج: الدكتور عدنان فطاني

غلاف: الفنان: معاذ الشرقي

معالجة: المصمم: حسين الطارقي

الطبعة الأولى ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## المحتويات:

|                                                                  |     |
|------------------------------------------------------------------|-----|
| تقديم/المصطلح النفسي يُمرّر معاني خفية لمنظومة فكرية!!.....      | ٩   |
| تقديم/ القراءة الناقدة للمصطلحات النفسانية بغير استسلام!.....    | ١٧  |
| كلُّ نفس...!!.....                                               | ١٩  |
| الحاجة لتأسيس العلاقة بين المصطلح النفسي والمصطلح القرآني .      | ٢٩  |
| مظاهر العلاقة بين المصطلح النفسي والمصطلح القرآني.....           | ٥٣  |
| جهود المعاصرين في العناية بالألفاظ النفسية في القرآن الكريم .... | ٧١  |
| أنموذج لمصطلح نفسي قرآني غير مستعمل في العلوم النفسية ...        | ١٠٥ |
| تأثير المصطلح النفسي القرآني في الممارسة النفسية.....            | ١٣١ |
| الخاتمة.....                                                     | ١٧٧ |



تقديم

الدكتور جمال التركي

رئيس شبكة العلوم النفسية العربية



## المصطلح النفسي يُمرّر معاني خفية لمنظومة فكرية!!

إشكالية اختيار المصطلح المناسب للقضايا النفسية، خصوصاً عند تعدد تسمياتها، إشكالية معقدة، وتتطلب اهتماماً خاصاً من المختصين؛ لأن المصطلحات لها معنى ظاهر، وآخر ضمني خفي؛ يعكس رؤى وتوجهات ومنظومات فكرية تختلف باختلاف الخلفية الذهنية والمذهبية والعقائدية لواقعها!

إن اهتمامنا بالمصطلح لا بد أن يتجاوز مجرد السلامة اللغوية، إلى انتقاء الأكثر توافقاً ومنظومتنا الفكرية ورؤيتنا للكون والإنسان والحياة.

فالمصطلح، إضافة لمعناه الظاهر، يمرر معاني خفية لمنظومة فكرية، قد تكون واعية أو لا واعية، تعمل -أحياناً- على تهيئة الرأي العام، سواء لقبول مفهوم جديد أو لتغيير رؤيته تجاه قيمة محددة أو

موضوع معين، أي إلى تعديل سلوك محدد على مدى بعيد، بما يتماشى والمنظومات الفكرية لواقعهم وأهدافهم، ليتم قبول - في زمن ما (تصورات، رؤى، أفكار، سلوكيات....) - ما لم يكن مُستَعَدًّا لقبوله في زمن سابق، ومثال على ذلك: ترجمة مصطلح "الجنسية المثلية"، الذي ساقه البروفيسور/ مالك بدري في مقدمته لكتاب "تصنيف المراحل العمرية"، للدكتور الطارقي، حيث كشف لنا كيف تطور ذلك المصطلح من "السودومية" Sodomy إلى "اللواط" فـ "الشذوذ الجنسي Homosexuality" إلى "المرحّين Gays"، ليتم لاحقاً حذفه من قائمة الاضطرابات النفسية، إلى أن وصل في تالي الأمر - مؤخراً - إلى وصم من يرفض هذا السلوك المنحرف برهاب الشذوذ الجنسي Homophobia.

هذه العوامل مجتمعة جعلتنا ندرك جسامه مسؤولية اختيار المصطلح، هذا إلى جانب صعوبة الاتفاق حوله، وهو ما يستدعى - بتقديرنا - مزيداً من البحث والتحرير، ومزيداً من التأني والحذر والتفكير العميق، والاجتهاد عند النظر في رسمه أو نحتته واختياره.

ولعل كتابات الأستاذ الفاضل والأخ العزيز، الدكتور/ عبد الله الطارقي، حول المصطلح النفسي، تعريباً وعناية بمنظومته القيمة والفكرية الإسلامية، اجتهاد نقدره في الاتجاه الصحيح، نحن في حاجة ماسة إليه في زمن إعصار عولمة عاتية، عصفت بالهوية والمعتقد، وأعدّه لبنة أولى نحو تأسيس مراجع تثري المكتبة النفسانية العربية، وعوداً مستقبلياً لجيل من الأساتذة والأطباء والطلبة في أبحاثهم ودراساتهم وهم يواجهون زماناً غير زماننا، وأن يكون عوداً و حافزاً للكتابة "العلمنفسانية" و"الطبنفسانية" باللغة العربية؛ تعزيزاً وترسيخاً لمكانتها والحمولة الفكرية لمنظومتنا المرجعية الشاوية خلف تلك المفاهيم والمصطلحات، من منطلق هويتنا التي تسعى عولمة (أمركة) الثقافة والفكر لطمس ملامحها.

أعتقد أن على الباحث في العلوم النفسية، في البلاد العربية والإسلامية، أن يتفكر في معنى أن تكون هذه اللغة "العربية" هي التي اختارها الحق - جل في علاه - دون سائر لغات العالمين، لتبليغ آخر رسالاته للعالمين، وبها أنزل كتابه الكريم على رسوله

محمد - عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم؛ أفلا تكون  
جديرة بأن تحتل منزلة مميزة بين سائر اللغات العالمية، وأن تحتل  
المفاهيم التي جاءت بهذه اللغة المنزلة ذاتها التي تحتلها تلك  
الرسالة التي وعتها، والحمولة المفاهيمية والقيمية التي أتت بها؟!  
قد لا ندرك حكمة المولى - جل في علاه - في اختيار "العربية"  
لتبليغ آخر رسالاته للعالمين، وقد لا ندرك -أيضا- الحكمة من اختيار  
الحق -سبحانه وتعالى- لـ "شخصية عربية" لتبليغ خاتم رسالاته  
للبشرية ... لكن ندرك جيدا معنى أن يكون ذلك اختيارا من رب  
العالمين، رب حكيم عليم، عالم غيب السماوات والأرض، نزل به  
كتابا ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]،  
ألا يوحى لنا ذلك أن لهذه اللغة أهمية كبرى بين جميع لغات  
العالم، عند الخالق وخالقه؟! وأنه ينبغي أن يكون لها مكانة مميزة  
بين لغات العالمين، إلى أن تصبح الأولى عالميا؛ لاعتقادنا أنها  
ليست فقط قادرة على استيعاب كافة المعارف والعلوم الكونية  
والإنسانية، بل هي الأقدر بين جميع اللغات، وأن ما لحقها من  
هزال وضعف إنما هو لتجاهل أهلها لها، وتخليهم عنها،

وتخاذلهم في تطويرها وإثرائها، كما أن هذا "الإنسان العربي المسلم"، الذي حمل أمانة تبليغ آخر الرسالات السماوية، وأمانة هذه اللغة، هو قادر -أيضاً- على العطاء والإبداع، والانخراط في بناء حضارة عالمية راقية لـ (كلّ نفس) على الأرض.

بهذه المناسبة أذكر بما قاله العلامة الأستاذ/ يحيى الرخاوي: «إنّ على العلوم الإنسانية عامة، والنفسية خاصة، أن تستلهم مادتها من لسان أهلها ورؤاهم للكون والحياة، لا أن تستوردها ابتداء من "سلوك" غيرها».

نعم، إنّ المطلوب مرحلياً هو أن تصبح كل مفردات العلوم النفسية منخرطة في أبجدية عربية، قادرة على الانصهار في بنيتها اللغوية الخاصة.

إن مفاهيم العلوم النفسية ليست مجرد مفاهيم يوظفها الممارس النفسي في التشخيص والعلاج والإرشاد النفسي، دون النظر إلى مجالها الدلالي والتداولي، وانسجامه مع هويتنا الحضارية وبيئاتنا ثقافياً وقيماً!

كنت سعيداً بتقديم هذا العمل (كُلُّ نفس) للدكتور/ عبد الله الطارقي، الذي قدم فيه منظومة مهمة للعناية بالمصطلح النفساني وعلاقته بالمصطلح القرآني؛ فهو جهد مشكور، بتقديري، جدير بالعناية والاهتمام لدى كافة العاملين في البحث والممارسة النفسانية في وطننا العربي والإسلامي.

ومثل هذه الدراسات، التي تناقش الجذور العميقة للمفاهيم والمصطلحات التي نستخدمها في حقولنا النفسانية، ينبغي أن تتضافر عليه جهود العلماء والباحثين؛ حتى نكون بمجموعها ذاتنا الحضارية النفسانية (علمنفسانية وطبنفسانية خاصة). ذاتاً علمية قادرة على التشاقف مع الآخر، والتحاور معه على جهة لا نكون فيها المتلقي الضعيف، بل في صورة المنافس الذي يستفيد ويفيد، ويقبل ويرفض ما لا ينسجم وقيمه الكونية وهويته الحضارية المتمينة.

مرة أخرى، الشكر موصول للباحث الدكتور/ الطارقي على هذا الجهد المميز، تقبله الله منه خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

صفاقس - تونس ١٢ / يونيو ٢٠١٩.

تقديم

أ.د. صالح الصنيع

قسم علم النفس جامعة الإمام سابقاً



## القراءة الناقدة للمصطلحات النفسانية بغير استسلام!

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سرّنا ما اطلعنا عليه في كتاب الدكتور/ عبد الله الطارقي، وعنوانه (كلُّ نفس)؛ من حيث إنه استمرار لمسيرته العلمية في تتبع عدد من المصطلحات النفسية وتناولها بالنقد والتمحيص، وعرض بدائل إسلامية بطريقة علمية مقبولة ومنطقية.

وهو من الباحثين الدائمين على القراءة الناقدة للمصطلحات، وعدم الاستسلام للطرح الغربي لها دون نقاش، وله في هذا الميدان جهود سابقة، مثل: "مصطلح المراهقة"، في كتاب سابق، خرج فيه

بمفهوم يناقض السائد لدى المتخصصين النفسيين، معتمداً على منهج علمي، يقوم على المعاني اللغوية، وما ورد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء، ووقتها اعتبر طرْحاً جريئاً، حصل على الاحترام ممن اطلع عليه، ويحتاج الانتشار بين أهل الاختصاص.

وفي الكتاب الحالي ناقش بعض المصطلحات النفسية، وما دلالاتها في علم النفس وفي آيات القرآن الكريم وتفسيره، والسنة النبوية، وكلام علماء المسلمين.

وهذه الجهود تذكر فتشكر، وتحتاج للنشر والتقديم في المؤتمرات والملتقيات العلمية في الجامعات وجمعيات علم النفس.

أسأل الله له ولجميع الباحثين في التأصيل الإسلامي للعلوم عامة، وعلم النفس خاصة، التوفيق والسداد والانتشار، والأجر والمثوبة من رب العالمين.

المملكة العربية السعودية - الرياض

الإصلاح في العالم الحديث يجري في كل  
الأنحاء، فيما عدا نفس الإنسان وذاته.

سيد حسين

كلُّ نفس...!!



العلم بالنفس الإنسانية في ثقافتنا الإسلامية ليس علماً ترفيلاً، بل هو من العلوم التي سال فيها مداد عريض على يد العلماء على مر القرون - كما سنفصل -؛ والسبب في ذلك هو تلك الصلة الوثيقة بين العلم بالنفس ومعرفة الله - تعالى -.

حتى شاع بين العلماء عبارة "من عرف نفسه عرف ربه!"، وبعضهم ينطلق من زاوية أخرى فيقول: «اعرف ربك تعرف نفسك»، وكلا المنطلقين جليل القدر عظيم المنزلة.

ولذلك يقول الراغب الأصفهاني: «من عرف نفسه فقد عرف الله»، فقد روي أنه ما أنزل الله كتاباً إلا وفيه: اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك، وهذا معنى قوله

- تعالى -: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]<sup>(١)</sup>.

لقد استهل الراغب كتابه "تفصيل الشأتين وتحصيل السعادتين" بهذه القضية، حيث قال: «قال الحكماء مرة: أول ما يلزم الإنسان معرفة نفسه، وقالوا مرة: أول ما يلزمه معرفة الله. وليس بين هذين القولين منافاة»<sup>(٢)</sup>. وظاهر لك تساوق المنطلقين المشار إليهما!

ولهذا -أيضا- قال الغزالي في رسالته "معارج القدس في مدارج معرفة النفس": ثم إذا ختمنا فصول معرفة النفس فحينئذ ننعطف على معرفة الحق - جل جلاله -؛ إذ جميع العلوم

---

(١) تفصيل الشأتين وتحصيل السعادتين، للراغب الأصفهاني، تحقيق: عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي (ص ٦٥).

(٢) تفصيل الشأتين (ص ٦١). بل إن الراغب ذهب يعدد ثمانى فوائد لمعرفة النفس منها: معرفة غيرها، ومعرفة الموجودات، ومعرفة العالم، ومعرفة العالم الروحاني، ومعرفة أعدائه الكامنة فيها، معرفة كيف يسوسها؛ إذ من أحسن أن يسوس نفسه أحسن أن يسوس العالم، ومعرفة عيوبها، وثانها معرفة الله تعالى.

مقدمات ووسائل لمعرفة الحق - جل جلاله -، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه، وعرف صفاته وأفعاله، وعرف مراتب العالم ... وعرف غاية السعادة التي هي لقاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وصدق الله العظيم - سبحانه -: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

﴿٢١﴾ [الذاريات]، وتلك هي منزلة هذا الصنف من المعرفة الدائرة حول النفس.

ولجلالة هذا العلم في تراثنا لا بد لنا أن نبدي انزعاجاً حين نجد أن المصطلح النفسي في العلوم النفسية العربية يمم وجهه شطر العلوم النفسية الغربية، وانشغل بالنقل عنها والصدور عن مجامعها العلمية ومصطلحاتها التي يَسْكُها عن الظواهر النفسية والاجتماعية والتربوية ... إلخ؛ لأن تلك المعرفة ستكون منبئة الصلة بطبيعة الحال عن تحقيق ذلك المقصد الجليل، الذي هو معرفة الله تعالى.

(١) معارج القدس في مدارج معرفة النفس، للإمام الغزالي، تحقيق: أسعد جمعة،

دار كيرانيس، تونس، ٢٠١٤ (ص ٣٠).

ومن منطلق مفهومي مصطلحي وجدنا نقادنا الكبار، مثل:  
عبد الوهاب المسيري، ينحون نحو اقتراح تخفيف ذلك الإقبال،  
وخلطه -على الأقل- بالنظر للفلسفات والنظريات الشرقية،  
كالهندية وغيرها؛ لأنه لاحظ فشو التحيز إلى الغرب أو ضده في  
كتاباتنا النفسية والاجتماعية والتربوية؛ إذ انقسمنا إلى فريقين:  
فريق قبلته الغرب، وفريق لا يقبل على الغرب إلا بالشتائم!!

وعلى أي من تلك السبل نجد غياب تسييد المصطلح القرآني  
الأصيل في العلم بالنفس الإنسانية!!

وعلى كل، فإن الأمر الذي أتوقع أن لا يختلف فيه؛ أن صدور  
علماء الشرق عن مرجعياتهم في المصطلحات التي يسكونها عن  
النفس الإنسانية، أو صدور علماء الغرب عن مصطلحات من  
مرجعياتهم، ليس عيباً؛ غير أن العيب أن تترك مرجعيتك التي  
تصلك بمعرفة الله -تعالى- لتصدر عن مصطلحات ومفاهيم  
مرجعية قوم آخرين!

ومع القول بأن لكل أهل ثقافة ومرجعية الصدور عن مفاهيمهم ومصطلحاتهم، إلا أن التشاقف بينها سيحمل كل أصحاب مرجعية إلى محاولة إقناع الآخرين بها.. ومن هنا يمكننا القول بأننا حين نجيد صناعة علومنا النفسية، من خلال مفاهيمنا ومصطلحاتنا؛ سنكون على قدرة عالية من إقناع كثيرين بها؛ ولهذا ناسب تسمية هذا الجهد بـ (كل نفس)؛ إذ كل نفس خالقها الله - تعالى -، وكل نفس مبتليها الله - تعالى -، وكل نفس تحكمها سننه الصارمة من ميلادها إلى مماتها، و(كل نفس) ستقف أمامه ليجازيها.

لهذا قال - سبحانه - في إيجادها: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۚ﴾ [الطارق].

وقال في معرض سننه اللازمة لكل نفس: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

وقال في هداها وضلالها: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة]. وقال في حسابها وجزائها: ﴿لَتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

وغيرها من المواضع، والتي بلغت ٢١ موضعًا في القرآن الكريم، جاء فيها هذا التركيب القرآني الملازم لـ (كل نفس)، مهما كانت نحلتهما، ومهما كان زمن وجودها، ومهما كان مكان عيشها.

ولهذا وذاك تحاول هذه الورقة الإسهام في هذا المهيح بأصول وأدبيات لتأسيس العلاقة بين العلوم النفسية والقرآن الكريم من خلال "المصطلح"، مع تطبيقات عملية من خلال بعض "المصطلحات".

بقي أن أخبر القارئ الكريم أن أصل هذا العمل ثلاث أوراق علمية، شاركت بها في ثلاثة مؤتمرات دولية: في العلوم النفسية، وفي المصطلح القرآني، وفي الإعجاز العلمي في القرآن الكريم،

فأشار علي بعض الزملاء أن أجمعها في نسق واحد، وهو ما فعلته في هذا العمل.

بقي أن أشكر كلاً من:

المقدمين لهذا العمل، وهما: البروفيسور/ صالح الصنيع من جامعة الإمام بالرياض، والأستاذ الدكتور/ جمال التركي -الأمين العام السابق لاتحاد الأطباء النفسانيين العرب- ورئيس شبكة العلوم النفسية العربية بتونس.

كما أشكر الرجل الذي شملني بلطفه ومراجعته الوافية من زاوية الدراسات القرآنية، الأستاذ الدكتور/ مصطفى فوزيل -الخبير الدولي في علوم القرآن الكريم من المغرب-.

كما أشكر الأستاذ المراجع من زاوية العلوم النفسية، البروفيسور/ مصطفى عشوي -الخبير الدولي في العلوم النفسية من الجزائر-.



وأشكر لفيف الأصدقاء الذي شملوني بكرمهم ونصحهم: أ.  
عبد الكريم الحازمي، أ. خالد العماري، أ. محمد الأنصاري،  
أ. خالد القرشي، د. عدنان فطاني، م. عمار المانع، أ. خالد الزبيدي،  
وابني عبد الرحمن الطارقي.

والشكر موصول لمركزنا قراءات لبحوث ودراسات  
الشباب، وللمؤسسة السبيعي الخيرية؛ على تفضلها برعاية هذا  
العمل، ونشره على نفقتها.

لا تجري التحولات والتغيرات في  
النفس وفي الحياة وفي الكون، إلا وفق  
سنن ثابتة مضطردة وسرمدية.

د. الطيب برغوث

الحاجة لتأسيس العلاقة

بين المصطلح النفسي والمصطلح القرآني



## مقدمة:

العلوم النفسية المعاصرة، سواء كانت غربية المنشأ، إنجليزية اللغة أو فرنسية، أو حتى شرقية هندية أو كنفوشية، تستعمل لغة لها مفاهيم ومصطلحات، تصف بها الظواهر النفسية والاجتماعية والتربوية.

وانشغال كثير من المختصين في العلوم النفسية بنقلها وترجمتها لثقافتنا العربية، جعل علومنا النفسية تستخدم ذات الألفاظ والمصطلحات، باعتبارها ألفاظا مرجعية ومهمينة، ألفناها وأصبحت مكوناً رئيساً في ثقافتنا النفسية، ولا أظن هذه الفكرة بحاجة إلى دليل يشبها؛ إذ لو ذهبت تناقش مختصاً نفسياً في عالمنا العربي حول مصطلح "المراهقة" -على سبيل المثال-، فإنك

ستجده يحمل في تأسيسه النفسي رؤية من السياق الغربي ذاته الذي ترجمت عنه المراهقة!

في الوقت الذي نجد البحث النفسي له حضور عظيم في تراثنا، وإن لم يظهر في علم مستقل بالتركيب الشهير اليوم "علم نفس"، حتى مع كثرة جهود الرواد في علومنا النفسية المعاصرة، إلا أن الأمر ظل في صورة جهود لم تُستثمر في سياق تأسيس علم مكتمل الأركان، بما يسمى علما اليوم في داخل دوائره العلمية والمنهجية.

إن تأسيس علم بالنفس الإنسانية من داخل مرجعيتنا المتعينة واجب العلماء والراسخين في علومنا النفسية المعاصرة.

وبذلك نستثمر نصوص الوحي، وتجربة علمائنا عبر القرون، وبذلك نتجاوز النزوع بعلوم الوحي إلى جهة استعمال النص للاستدلال به في الأحكام التكليفية الفقهية العبادية وحسب، دون الاتجاه إلى تكوين رؤية جديدة من آيات الأنفس والآفاق لأجل حياتنا النفسية والتربوية والاجتماعية!

وبذلك نتجاوز -أيضا- النزوع بعلومنا النفسية نحو المعرفة المادية في النفس والتربية والمجتمع ، بمعزل عن أي استنطاق للوحي لبناء رؤية جديدة مكتملة الأركان، تتألف من النص والبحث التجريبي الذي نمارسه نحن منطلقاً من مقدماتنا النظرية نحن!

وربما حصل ذلك النزوع بسبب شبهة تقول: إن نصوص الوحي لا توصل لمعرفة يمكن الاعتماد عليها (إمبريقياً) ، وإن علوم النفس والمجتمع لا بد من أخذها كما ترجمناها من الآخر!

وجوابها: أن القصور الذي يُنسب لنصوص الوحي في عدم كفاءتها في هذا الميدان هو حديث عن تقصيرنا نحن في تثوير النص واستنطاقه على الوجه الذي يضمن لنا الوصول إلى تلك الرؤية المستندة إلى ما في الأنفس والآفاق كما قال الله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وبتلك المنهجية التي تجمع النصّ والواقع في سياق واحد  
نصل لتصوّر عن النفس ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه].

إنها منهجية تتصل بالسماء، وهي تقف على الأرض!

إننا اليوم بحاجة ملحة إلى مضاعفة الجهد العلمي النفسي  
القرآني؛ حتى نجد به حلولاً أكثر علمية وواقعية من آيات الله المتلوة  
(الوحي المكتوب)، متعاضدة مع آياته المشاهدة (الوحي المنظور)  
في الآفاق والأنفس.

وتعترض طريق هذه الفكرة -أيضاً- شبهتان: تقول الأولى: إن  
الإنسان السَّابِق كانت تكفيه نصوص القرآن الكريم -من غير بيان  
لحيثيات ومباحث نفسية مركبة- ليتتهى، فبمجرد سماع آية ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ  
مُنْهَوْنَ﴾ يتنهون مباشرة، حتى تغرق سكك المدينة بالخمير التي  
سكبت وأهريقَت استجابة لأمر الله -تعالى- وأمر رسوله -صلى الله  
عليه وسلم -.

وجوابها هو: أن الإنسان السابق لم تتعقد نظرتة بمثل ما تعقدت حياة إنسان العصر -اليوم- بمشكلاته وشبهه وظنونه، حتى بات بينه وبين نصوص الوحي حجب، وغدا على نفسه مزيج من عوائق تحول دون الإحساس العميق بحرارة هذه الآيات في فؤاده لتوجد الأثر البالغ في قلبه وقناعاته؛ وبالتالي في فكره وسلوكه الإرادي؛ فتعين على الباحثين في العلوم النفسية استنطاق تلك الصلة بين نصوص الوحي والنفس الإنسانية؛ لانتزاع حلول مركبة لإنسان هذا العصر، فالنص المسطور لن يعارض النص المنظور!

والشبهة الثانية تقول: إن ما قدمه علماؤنا عبر القرون في دراسة نصوص الوحي، وما تولد عنها من علوم، يكفي.. فما علينا إلا أن نرجع إليه في مصادره ونخرجه للأجيال.

وجواب ذلك: أن العلماء كانوا ينتزعون إجابات جديدة لسؤالات أزمنتهم، ويأتون بأدوية ناجعة من نصوص الوحي لحياتهم اليومية. ولذا؛ لا بد أن نتيقن أنهم لم يجتهدوا لنا؛ فنحن

بحاجة ماسة لجهدنا نحن، واجتهادنا نحن مع النص والواقع  
لحياتنا نحن!

ولم تكن هذه الشبهة موجودة لدى المتقدمين؛ لذا لم يكفوا  
عن توليد العلوم وتشقيقها؛ ذلك أن تطور العلوم، وظهور علوم  
جديدة في تشقيقات تتزايد وتتوالد في كل عصر؛ هو بسبب الفكرة  
ذاتها، أعني البحث عن تركيب جواب جديد لأجل إكراهات الواقع  
وسؤالاته المتجددة.

وحياتنا اليوم بها من التعقيد والتركيب ما تطلب للإنسان معه  
مركبات تدهش فؤاده.. وتهز أركانه.. وتباغت وعيه؛ لتقنعه  
بالمنطق والحجة والبرهان والمسلمات المفردة والمركبة.. لتدله  
على الوجه الأصوب.. والطريق الأنجع لمشكلاته وجواب  
سؤالاته!

وعن تلك الحجب التي تبني الأسوار حول الأفئدة والمهج؛  
حتى لا يكاد يصلها وهج الوحي ولو سمعته، ولا نوره ولو تلتته؛  
يقول الراغب الأصفهاني: «والقرآن لا يدرك حقائقه إلا من كُشف

غطاؤه، ورُفِعَ غشاؤه، وأُزِيلَ وقْرُه، ولهذا قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. وأيضا: فالمعقولات كالحياة التي بها الأسماع والأبصار، والقرآن كالمدرَك بالسمع والبصر، وكما أنه من المحال أن يبصر ويسمع الميت قبل أن يجعل الله فيه الروح، ويجعل له السمع والبصر، كذلك من المحال أن يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشرعيات، ولهذا قال الله -تعالى-: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمِّيَّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ سَمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الروم: ٥٢].<sup>(١)</sup>

والخلاصة: أن كثيرا من قضايا النفسية بحاجة إلى بناء علمي من نصوص الوحي، وفق تجربتنا في واقعنا لنؤسس بذلك ذاتنا

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت

المستقلة في المجال، كما أسس غيرنا علومه النفسية المستقلة، ثم بعدها تأتي مرحلة الانفتاح على الآخر.

ولهذا يقول المسيري -رحمه الله-: «النسق الحضاري للمسلمين مطالب بالانفتاح على العالم بمختلف تجاربه ورؤاه، وليس على العالم الغربي فحسب، يمكن أن يسعفنا في أن نستوعب وندرك ونرى الحقيقة الإنسانية في غناها وتعددتها، هكذا يبدو الغرب نسبياً، وليس مطلقاً نتعلم منه ونتفاعل معه بإرادتنا وبكامل وعينا وخصوصيتنا!»<sup>(١)</sup>.

ولهذا كانت هذه المحاولة في الطريق لتأسيس رؤيتنا النفسية المتعينة، ثم بناء علاقة الثقافة مع العلوم النفسية المعاصرة، بحيث تؤثر تلك العلاقة في الممارسة النفسية في التشخيص والإرشاد والعلاج النفسي.

---

(١) انظر: حوار مع الدكتور عبد الوهاب المسيري في مجلة الإحياء الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، العدد ٢٨، ١٤٢٧ هـ (ص ٥٧)، وانظر فلسفة المشترك الإنساني أحمد الفرق، أفريقيا الشرق ٢٠١٦ (ص ٥٧).

## كيف نؤسس لعلاقة تؤثر في الممارسة؟

القرآن الكريم خطاب الله -تعالى- للعالمين، وليس لفصيل معين من البشر؛ ولهذا وجد العلماء أن لفظ "الإنسان" جاء في القرآن الكريم أكثر من (٦٥) مرة، (٩) مرات منها -فقط- في سور مدنية، والباقي كله مكّي؛ وهذا يعني أن خطاب القرآن الكريم للإنسان -مطلق الإنسان- ... وهذا يعطي انطباعاً للباحث أن القرآن مهتم على وجه الأصلة بمطلق الإنسان، بغض النظر عن موطنه أو لغته أو أي اعتبار آخر<sup>(١)</sup>.

ومن هنا، فإن العلوم النفسية المعاصرة، بكل حمولتها المعجمية، ما دامت تروم مصالح الإنسان، فإن الوحي جاء مهيمنا على تلك المصالح كلها؛ فلا بد من علاقة تحمل إضافة نوعية لبني الإنسان ينبغي

---

(١) انظر: الإنسان في القرآن، دراسة فلسفية مقارنة، لأحمد بوعود، من منشورات



العناية بها للغرض ذاته؛ أعني نفع البشرية كلها، لا أهل العرية وحدهم.. باعتبار أنه نزل بلغتهم<sup>(١)</sup>.

وتهدف صفحاتنا هذه إلى اقتراح مسار علمي لتحقيق ذلك المطلوب في مراحل، مع إثبات تطبيقات عملية في تأسيس العلاقة، وفي كفاءة ذلك في التأثير الأمثل في الممارسة.

---

(١) ومن لطيف ما وقفت عليه في هذا المعنى لصاحب كتاب "الحاجة إلى علم مقدس" قوله: «ومن الضروري أن نلجأ إلى أعمق حكمة= وأنفذها في الحضارات التراثية، لا لإنقاذ الشرق فحسب، بل لإنقاذ الجنس البشري». انظر: الحاجة إلى علم مقدس، لسيد حسين نصر، نيويورك للنشر، القاهرة، ٢٠١٧ (ص ١٢١).

## المرحلة الأولى:

### العناية بتحرير المصطلح النفسي:

المصطلحات هي مفاتيح كل العلوم، ولهذا اختار الخوارزمي هذا اللفظ عنواناً لكتابه "مفاتيح العلوم"، ولهذا -أيضاً- خلع عليها السوفييت لقب مفاتيح العلوم؛ إذ لا يمكننا دخول دار بغير مفتاح صحيح لأبوابها؟! والعلوم النفسية، حين نروم تأسيس علاقتها بالقرآن الكريم والحديث الشريف؛ لا بد أن نعتني بتحرير مفاهيم الألفاظ على نحو لا يقبل الانزياح الدلالي، ولا ابتلاع ألفاظ ثقافة أخرى لا يمكنها أن تسكن داخل سياق ونسق ثقافة أخرى بغير تحرير. وحين نفعل ذلك سنلاحظ أن الألفاظ ستصنف لدينا إلى ثلاث زمر:

الزمرة الأولى: ألفاظ مشتركة بين العلوم النفسية والقرآن الكريم:

وهنا تكون المهمة هي الاشتغال بتحرير مفهوم اللفظ ومصاديقه في القرآن الكريم أولاً؛ لنحدد درجة العلاقة المفهومية والنصية داخل النسق القرآني، وبالتالي داخل العلوم النفسية؛ الأمر الذي يفتح مجالاً لإبداع تطبيقات ومباحث علمية جديدة في الجانب النفسي من حيث التشخيص والإرشاد والعلاج.

وسيكون في مقدمة تلك الألفاظ لفظ "النفس" نفسه؛ فهو مصطلح قرآني ومصطلح نفساني بتطابق حرفي كامل. ومن هنا لزم النظر في دلالاته في السياق القرآني، ودلالاته لدى النفسانيين. ويدخل في بحثه كافة الألفاظ التي جاءت مقترنة بلفظ النفس؛ لأنها مؤثرة في فهمها، وفهم كيفية التعامل معها؛ أعني التعامل مع النفس.

وسندرس في الصفحات الآتية مصطلحات من هذا النوع المشترك، مثل: "الوسواس".

الزمرة الثانية: الفاظ قرآنية نفسية لم يستعملها النفسانيون:

هذا النوع من الألفاظ والمصطلحات بحاجة إلى تحرير مفهومه، وتتبع مواضع وروده؛ ليتم تحديد درجة العلاقة بالنواحي النفسية؛ فكثيراً ما فتحت مثل هذه الألفاظ مباحث جديدة لم تكن في العلوم النفسية في السابق.

وهذا النوع له أمثلة، منها: مصطلح "التزكية"، وهو مصطلح يحتل أهمية كبرى، ومنها: مصطلح "تقدم النفس" و "تأخر النفس"، وغيرها من المصطلحات التي سندرسها في هذه الصفحات.

الزمرة الثالثة: اللفظ النفسي الذي لم يرد في الوحي:

اللفظ النفساني الذي لم يرد بحروفه في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف، وهذا يكون الموقف العلمي منه: بتفهمه في سياقه الأصلي في العلوم النفسية في لغته الأصلية، لاتينية أو انجليزية... إلخ، ثم يؤتى به أمام "الجمارك الحضارية" على

حدود الأمة؛ لاختبار مفاهيمه ومصاديقه ولوازمه؛ لتحديد درجة النفع وصورة العلاقة الممكنة بالقرآن الكريم. وهنا نتبين مفهومه؛ فإن كان فيه مصلحة للإنسان؛ فلا بد أن الوحي عبر عنه بلفظ ما، وهنا نحضر اللفظ القرآني ومفهومه؛ لتبين الفائدة التي يحملها اللفظ النفسي، وما يضيفه على مفهومنا القرآني (إن وجدت الإضافة)، وهنا ستكون المحصلة قائمتين من المعاني:

القائمة الأولى: المعاني المشتركة بين المصطلحين، وهذه تقبل مباشرة.

القائمة الثانية: المعاني التي لم تنسجم مع المصطلح القرآني، وهذه إن كانت في شأن الهدى المصلح للإنسان فالموقف منها رفضها، بخلاف ما إذا كانت لشؤون مصحلية مادية خارج نطاق الهدى؛ لأنها تدخل في دائرة المباح العام، إذ سيتبين كل ذلك بعد أن توقفه "الجمارك عند الاستقبال في حدود الأمة الحضارية؛ للسؤال، والتثبت من حسن النية ودرجة النفع والملاءمة للهوية...؛ ذلك أن المصطلح الوافد في العلوم المادية برئ حتى تثبت إدانته،



والمصطلح الوافد في العلوم الإنسانية ظنين حتى تثبت براءته ...  
والمصطلح التراثي في هذا الشأن له الأسبقية والأولوية على غيره  
متى وجد<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: نظرات في المنهج والمصطلح، الشاهد البوشيخي، ١٤٢٣هـ،  
إنفوبرانت فاس (٥٤-٦٤).

## المرحلة الثانية: تطوير التطبيقات المنسجمة مع

المفهوم:

تطوير التطبيقات والنماذج المنسجمة مع المفهوم الذي تم تحريره للمصطلح النفسي القرآني هو ما يضمن تحديث الممارسة والتأثير عليها وفق تلك العلاقة التي تم بيانها، وتحريرها وتحديد أبعادها الممكنة في هذه اللفظة، وقد تظهر لنا تطبيقات جديدة يضيفها المفهوم بعد تحريره، أو يدلنا عليها، وسوف نورد مثالا لهذه الإضافة من خلال دراسة لفظ (الأرق).

إن تحريرنا للمصطلح النفسي، من خلال ألفاظ القرآن الكريم، سيثمر منظومة معجمية تصبح "خزاناً للمفاهيم الأولية" التي تؤسس عليها الرؤى والنظريات والفلسفات النفسية من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف.

## المرحلة الثالثة: وضع الأصول والنظريات:

ويتم ذلك من خلال خطوات ثلاث:

الخطوة الأولى: وضع الأصول النفسية القرآنية، مستعينين في ذلك بعدد من العلوم الإسلامية، مثل: علوم اللغة العربية، وعلم المقاصد، وعلم السنن الإلهية، وغيرها من العلوم ذات الصلة.

الخطوة الثانية: تقديم رؤية نقدية تجمع منجزات المدارس النفسية المعاصرة مع مخرجاتنا في الخطوة الأولى، وتحريرنا للمفاهيم النفسية القرآنية؛ لنكون رؤية نقدية شاملة، تحدد نقاط الاتفاق والاختلاف، ودرجة العلاقة في كل علم ومبحث.

الخطوة الثالثة: تطوير قائمتين: الأولى: تشتمل على القواعد المرجعية للممارسة النفسية المرتبطة بالقرآن الكريم؛ وقائمة عملية بالنماذج التشخيصية والعلاجية والإرشادية النفسية القرآنية المستفيدة من كافة ما سبق، بأسلوب لا عوج فيه ولا أمت ... أسلوب لا يجعلنا ننصهر في الآخر، كما لا ينزعنا من العالم إلى حالة لا يمكننا من تقديم إنتاجنا إليه، لينضم منتجنا حينها "لنادي النظريات" التي تتنافس على إقناع البشرية بالرؤية الأكثر انسجاما مع الكون والتاريخ.

ولدينا ثقة كبيرة أننا حين نحسن ذلك سوف نقنع البشرية بنموذجنا، وبفردته وقدرته على تقديم أفضل أسلوب لاحترام النفس الإنسانية، والتعامل معها أفضل معاملة ممكنة.

حينها ستفزع طائفة من العلماء والمختصين النفسيين إلى منتجنا في العلوم النفسية، كما فرع المختصون في الاقتصاد من قبل إلى نواح من المصرفية الإسلامية! حين أثبتت نجاعتها إبان عدد من النكسات الاقتصادية للنظام الاقتصادي العالمي.



ولا يعني هذا التفاؤل أن نحلم بانتهاء الاختلاف في هذا  
الشأن؛ فهذا محال؛ فالاختلاف سنة إلهية قائمة.

## المرحلة الرابعة: تطوير الدراسات الميدانية:

حين ننتهي من بناء الرؤى والنظريات وتحرير قواعدها الكلية المرجعية ونكون قد أنجزنا فلسفتنا النفسية المبنية على القرآن الكريم والحديث الشريف مع الانفتاح على الانتاج الغربي وغيره في العلوم النفسية، حينها لا بد من تطوير عملنا الميداني، وفتح المعامل العملية والمراسد المتخصصة لتطوير التطبيقات وبناء النماذج ودراسة أوضاعنا النفسية على كافة الأصعدة. وحينها ستمكن من تطوير العلوم النفسية والوصول لابتكار مناحي جديدة لم نكن نعرفها بسبب تلك المنهجية التي انطلقنا منها والتي تقوم على الاتزان (لا عوج ولا أمت!). ننظر للسماء ونعي أننا واقفين على الأرض! نتصل بالوحي لكننا نعي أننا بحاجة لجهد تنزيلي يستجيب لإكراهات الواقع وأسئلته الملحة في كافة الجوانب النفسية المختلفة.. نستقل برؤيتنا وقواعدها المرجعية لكننا نؤمن بالتكامل مع جهود



البشرية في السعي لتحقيق مصالح النفس الإنسانية بغير هزيمة ولا استلاب.



علم بعمل النفس مع صفاتها وأخلاقها، وهو  
الرياضة ومجاهدة الهوى. وهو تهذيب  
النفس وسياسة البدن!

أبو حامد الغزالي

## مظاهر العلاقة

بين المصطلح النفسي والمصطلح القرآني



## ١ - مظاهر العلاقة بين المصطلحين:

تظهر العلاقة المباشرة بين ألفاظ القرآن وعلم النفس في مظهرين:

المظهر الأول: العلاقة اللفظية:

وتتضح لنا في التطابق اللفظي، حيث إن كافة ألفاظ اللقب العلمي "علم النفس" ألفاظ ومصطلحات قرآنية، وهو أمر يحتم وجود تلك العلاقة في البنية المنهجية، والمفاهيم الأولية.

خصوصاً إذا أخذنا بالاعتبار أن حجم ورود لفظ "النفس" في القرآن الكريم هو: (٢٩٨) موضعاً، إذ يدل بطبيعة الحال بالمركزية والأهمية التي يحتلها هذا اللفظ "النفس" في النسق المفهومي لألفاظ القرآن الكريم.

## المظهر الثاني: العلاقة الموضوعية:

يكشف هذا المظهر أن إصلاح النفس وتزكيتها وتهذيب أعمالها، هو موضوع الوحي أصلاً، ومهمة النبي الخاتم حقاً؛ لذا كان لفظ "النفس" من أوائل ما نزل، على هيئة خاصة؛ إذ لم يقسم الله - تعالى - في القرآن الكريم أحد عشر قسماً إلا على النفس، قال - تعالى - : ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس].

وهو أمر يلح على ضرورة العناية بتحرير مفاهيم الألفاظ القرآنية التي تناولت النفس منذ النشأة حتى المعاد والحساب، مروراً بالمعاش والتكليف، ودراسة نسقها الكلي الناضج.

يقودنا - كذلك - إلى الرجوع للتراث في مصادره، التي تناولت تلك الألفاظ وتلك الموضوعات النفسية؛ لتبين معالم تلك

## ٢ - عناية علماء التراث بالنفس:

لقد عني العلماء المسلمون بالمصطلح القرآني المتعلق بالنفس مبكرًا؛ إذ هو من جملة عنايتهم بالقرآن الكريم وعلومه؛ ولهذا فإننا حين نروم التأريخ لقضية علم النفس في المصطلح القرآني، فسيكون البدء في ذلك منذ بدأت العناية بالقرآن الكريم في الصدر الأول، مرورًا بعصر بدء التدوين لكتب التفسير وشروح الحديث وسائر علوم القرآن والحديث.

بل إن تلك المصادر، وهي تتناول ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته، نجدها زاخرة بمباحث ونصوص عن النفس من الأهمية والخطورة بمكان!

ويلاحظ -مع ذلك- أن علماءنا مع أنهم أفردوا للنفس مؤلفات خاصة ضمن كتب السلوك والأدب؛ إلا أنه لم يستقر لديهم إطلاق

اسم "علم النفس" عليه، والمشتهر عندهم التعبير بمسميات مثل: «معرفة النفس، وتركية النفس، أدب النفس... إلخ». كما تجده في عدد من المصنفات التي ستأتي، فيسهل أن تجد تلك الألقاب عند الغزالي في "إحيائه"، وفي "معارج القدس"، والراغب الأصفهاني قبله في كتابه "تفصيل النشأتين"، كما تجده عند ابن رشد وابن باجة وغيرهم .. وأيما يكن، فقد بقيت مباحث هذا العلم ماثلة في مصنفات التزكية والزهد، وغيرها، مثل: كتب التفسير وشروح الحديث.

وهذه قضية تحملنا على لزوم استنطاق كتب التراث الإسلامي التي تتناول النفس، من خلال ألفاظ ومصطلحات القرآن الكريم المتعلقة بالنفس؛ ولهذا عمدت إلى جرد أكبر مشروع عصري جمع جهود العلماء في التراث الإسلامي المعتمنة بعلم النفس، وهو مشروع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الموسوم بـ "علم النفس في التراث الإسلامي"، وهو عمل يقع في ثلاثة أجزاء، ضمت عرضاً لعدد (١٠١) من أعلام التراث الإسلامي، ومصنفاتهم المتعلقة بالنفس من مختلف مجالات



المعارف والعلوم، شملت عدد (٢١٠) كتب. ويمكن للباحث تسجيل وقفات مهمة حول هذا العمل، وهي:

الوقفة الأولى: العناية بالنفس في التراث عبر القرون:

لم يخل قرن من قرون التأريخ -تقريبا- من مصنف أو مصنفات خاصة حول النفس، تناولوها من خلال ألفاظ ومصطلحات القرآن الكريم، ومثال ذلك ما يأتي:

| القرن الهجري | الكتاب       | المؤلف                      |
|--------------|--------------|-----------------------------|
| الثالث       | آداب النفوس  | الحارث المحاسبي<br>ت/ ٢٤٣هـ |
|              | محاسبة النفس | ابن أبي الدنيا<br>ت/ ٢٨١هـ  |

| المؤلف                          | الكتاب                                 | القرن الهجري |
|---------------------------------|----------------------------------------|--------------|
| الإمام زكريا الرازي<br>ت/ ٣١٣هـ | النفس والروح                           | الرابع       |
| الحكيم الترمذي<br>ت/ ٣٢٠هـ      | مكر النفس<br>الرياضة وأدب<br>النفس     |              |
| أبو زيد البلخي<br>ت/ ٣٢٢هـ      | مصالح الأبدان<br>والأنفس               |              |
| أبو محمد بن حزم<br>ت/ ٤٥٦هـ     | الأخلاق والسير<br>في مداواة النفوس     | الخامس       |
| أبو حامد الغزالي<br>ت/ ٥٠٥هـ    | معارج القدس<br>في مدارج معرفة<br>النفس | السادس       |

| المؤلف                                | الكتاب                                         | القرن<br>الهجري |
|---------------------------------------|------------------------------------------------|-----------------|
| ابن عطاء الله<br>السكندري ت/ ٧٠٩ هـ   | تاج العروس<br>الحاوي لتهذيب<br>النفوس          | الثامن          |
| سلام بن عبد الله<br>الباهلي ت/ ٨٣٩ هـ | الذخائر<br>والأعلاق في آداب<br>النفوس والأخلاق | التاسع          |

الوقفة الثانية: المؤلفات التي تناولت المفاهيم  
والألفاظ النفسية:

يلاحظ - كذلك - أن المصطلح القرآني المتعلق بالنفس كثيرًا  
ما تناولته كتب الزهد والأخلاق والتزكية والسلوك بالجملة، ومن  
أمثلتها:

| القرن<br>الهجري | الكتاب<br>ومؤلفه                                      | نموذج من<br>المصطلح القرآني في<br>الكتاب                        |
|-----------------|-------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------|
| الثاني          | "الزهد"<br>لوكيع بن الجراح<br>- ت / ١٩٨ هـ            | النفس، الزهد،<br>التواضع، الأمل،<br>الإيمان، الصبر....          |
| الثالث          | "الورع"<br>لأحمد بن حنبل -<br>ت / ٢٤١ هـ              | الكبر، الشهوات،<br>الأمر بالمعروف، النهي<br>عن المنكر، النفس... |
|                 | "مكارم<br>الأخلاق" لابن<br>أبي الدنيا -<br>ت / ٢٨١ هـ | النفس، خلق،<br>الصدق، الأمانة...                                |
| الرابع          | "الفرق بين<br>الصدر والقلب<br>والفؤاد واللب"          | القلب، الصدر،<br>اللب، الفؤاد...                                |



| القرن<br>الهجري | الكتاب<br>ومؤلفه                                           | نموذج من<br>المصطلح القرآني في<br>الكتاب |
|-----------------|------------------------------------------------------------|------------------------------------------|
|                 | للحكيم الترمذي<br>- ت / ٣٢٠ هـ                             |                                          |
|                 | "مكارم<br>الأخلاق" لأبي<br>بكر الخرائطي -<br>ت / ٣٢٧ هـ    | النفس، الكرم،<br>الأمانة، الإيمان        |
| الخامس          | "الإمتاع<br>والمؤانسة" لأبي<br>حيان التوحيدي<br>ت / ٤٠٠ هـ | النفس، العقل،<br>السكينة، الروح          |

| القرن<br>الهجري | الكتاب<br>ومؤلفه                                          | نموذج من<br>المصطلح القرآني في<br>الكتاب                       |
|-----------------|-----------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------|
|                 | "منازل<br>السائرين"<br>لإسماعيل<br>الهروي -<br>ت / ٤٨١ هـ | النفس، العفة،<br>الإنابة، المحاسبة،<br>الاعتصام....            |
| السادس          | "تفصيل<br>النشأتين" للراغب<br>الأصفهاني<br>(٥٠٢ هـ)       | النفس، الإنسان،<br>السعادة، العبادة،<br>الإصلاح...             |
|                 | "إحياء علوم<br>الدين" للإمام<br>الغزالي (٥٠٥ هـ)          | النفس، العبادات،<br>الهلاك، النجاة، العلم،<br>القلب، الشهوة... |

| القرن<br>الهجري | الكتاب<br>ومؤلفه                               | نموذج من<br>المصطلح القرآني في<br>الكتاب                               |
|-----------------|------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------|
|                 | "صيد<br>الخاطر" لابن<br>الجوز (٥٩٧هـ)          | النفس، الشهوة،<br>الدنيا، المعصية، الهوى،<br>العقل، النجاة، الهلاك ... |
| السابع          | "الطب<br>الروحاني" للفخر<br>الرازي (٦٠٦هـ)     | النفس، الروح،<br>العقل، الجسد، العمه ...                               |
| الثامن          | "التحفة<br>العراقية" لابن<br>تيمية (٧٢٨هـ)     | القلوب، النفوس،<br>أمراض القلب، أعمال<br>القلوب، الخوف ...             |
|                 | "مفتاح دار<br>السعادة" لابن<br>القيم (ت ٧٥١هـ) | النفس، العقل،<br>الدنيا، الإنسان، حسرة،<br>إرادة ..                    |

| القرن<br>الهجري | الكتاب<br>ومؤلفه                                                  | نموذج من<br>المصطلح القرآني في<br>الكتاب                             |
|-----------------|-------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------|
| التاسع          | "الإنسان<br>الكامل"<br>لعبد الكريم<br>الجيلي (٨٣٢هـ)              | الروح، القلب،<br>العقل، العلم ...                                    |
| العاشر          | "الأرج في<br>الفرج" لجلال<br>الدين السيوطي<br>(٩١١هـ)             | النفس، الفرج،<br>الصبر، الدعاء ...                                   |
| الثالث<br>عشر   | "مدارج<br>السلوك إلى مالك<br>الملوك" لأبي بكر<br>البناني (١٢٤٨هـ) | النفس، عبادة الله،<br>السعادة، ذكر الله تعالى،<br>ولي الله تعالى ... |

وما تلك إلا نماذج، وإلا فإن ما جمعه المعهد في سفره ذي الأجزاء الثلاثة كثير، وإنما أردت لفت النظر إلى حجم معالجة العلماء في التاريخ لمسائل النفس من خلال المصطلح القرآني الذي يتناوله بالبيان والدرس.

الوقفه الثالثة: الفلسفة والتصوف والعناية بالنفس:

غلبت على كثير من تلك المؤلفات صبغتان: الأولى: هي التصوف، والثانية: هي الفلسفة؛ الأمر الذي جعل الجهد الخالص في خدمة المصطلح القرآني باستقلال أقل من ذينك الصنفين .. والله أعلم.

وهو أمر يفتح باب الاجتهاد، ويدعو الباحثين في العلوم النفسية والدراسات المصطلحية لبذل مزيد جهد في العناية بالمصطلح القرآني المتصل بالنفس؛ ليخرجوا ما يسهم في بناء علم نفس قرآني مكتمل، من خلال دراسة ألفاظه ومصطلحاته القرآنية.

والواقع أن النفس مبحث من مباحث التصوف الإسلامي -  
 لحقه ما لحقه بتطور التصوف نفسه ومدارسه المختلفة، وهذا  
 ما فصل فيه الباحثون والعلماء الذين كتبوا عن علاقة التصوف  
 بتأسيس علم النفس داخل منظومة العلوم الإسلامية<sup>(١)</sup>.

أما الجانب الفلسفي، فتلك نتيجة طبيعية؛ إذ علم النفس -  
 أصلاً- يعتبر في الفكر الغربي من أواخر العلوم  
 انفصالاً واستقلالاً عن الفلسفة؛ ثم إن الباحثين في حقل الفلسفة  
 الإسلامية مشدودون - بطبيعة الحال - للبحث الفلسفي  
 الأوروبي؛ لهذا بات تناول النفس وقضاياها من مدخل فلسفي  
 ابتداء هو ديدنهم؛ ولهذا يعز أن تجد لدى من ينسب للفلسفة في  
 تاريخنا من يخرج عن حدود أفلاطون وأرسطو للنفس مثلاً،  
 وإثبات ذلك يكفي فيه الاطلاع على تعريف "النفس" - مثلاً -

---

(١) انظر: الفكر التربوي الصوفي، الأخضر القويدري، تقديم نظلة الجبوري، دار  
 نينوى، سوريا، ١٤٣٠هـ. وقدم فيه المؤلف قراءة نفسية تربوية لفكر أعلام  
 التصوف الإسلامي: الحارث المحاسبي، أبو القاسم الجنيد، أبو طالب المكي، أبو  
 القاسم القشيري، أبو حامد الغزالي، عبد القادر الجيلاني، أحمد الرفاعي، أبو مدين  
 شبيب، محيي الدين ابن عربي، وهو كتاب متوسط الحجم، يقع في ٤٠٠ صفحة.



لدى فلاسفتنا، مثل: ابن رشد، وابن باجه، وابن سينا، وابن  
الطفيل<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: الخطاب الأخلاقي عند فلاسفة المغرب العربي، سامي شهيد الميالي،  
ابن النديم للنشر، الجزائر، ٢٠١٦. وتضمن عرضاً لمفهوم النفس عند  
فلاسفة المشرق: الكندي، والفارابي، وابن سينا، كما تضمن -بطبيعة  
الحال- عرضاً لمفهوم النفس عند فلاسفة المغرب: ابن باجة، وابن الطفيل،  
وابن رشد، وابن خلدون، وهو كتاب يقع في ٢٨٠ صفحة.



إن معرفة السعادة الإنسانية والشقاء  
الإنساني يستدعي معرفة النفس ما هي  
وما جوهرها؟

ابن رشد

جهود المعاصرين في العناية  
بالألفاظ النفسية في القرآن الكريم



## ١ - الغراب الذي أيقظنا<sup>(١)</sup>:

من المسلم به أن علم النفس المعاصر ولد في أحضان أسرة أوروبية وأمريكية، وهي أسرة وقعت مع النهضة "وثيقة الطلاق البائن" بين العلم والكنيسة، وحينها سهل على هذا الوليد أن يدرس الإنسان على أنه آلة أو حيوان لا غير، ففي الوقت الذي درسه "داروين" باعتباره حيواناً في الظاهر، أكمل "فرويد" المسيرة فأثبت الحيوانية لعالمه الداخلي -أيضاً-، وأثبت كل ذلك "واطسون"، فليس هناك علم نفس إنساني وعلم نفس حيواني، بل هو حيواني فحسب.

كان ذلك التناول عبر المدارس النفسية الغربية في علم النفس بمثابة الغراب الذي أيقظنا.. حتى عمد علماؤنا للرد على "فرويد"

---

(١) حسب تعبير الأستاذ "محمد بريش" - وفقه الله.

– تارةً، وتارةً أخرى بالتحذير من جُحر الضب كما صنع "مالك بدري"، وهو ينهى الباحثين النفسانيين المسلمين عن الولوج إلى جحر الضب في رسالة له تحمل نفس الاسم؛ "علماء النفس المسلمون في جحر الضب!". وتبعته الصرخة التي أعلنها الأستاذ "إسماعيل الفاروقي"، المتمثلة في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ثم تابعت الجهود.

والحق أن جهود الباحثين والعلماء في هذا السياق كثير مثل جهود كل من: فؤاد ابو حطب، وأسامة الراضي، ومحمد رشاد خليل، ومحمد عثمان نجاتي وغيرهم، ولكنني هنا أكتفي بأمثلة لتلك الجهود

## ٢- مالك بدري محذرًا النفسانيين المسلمين من

### جحر الضب!

تحولت محاضرة البروفيسور "مالك بدري" ١٣٩٨ هـ إلى دراسة منشورة باللغات المختلفة، تحت عنوان "علماء النفس المسلمين في جحر الضب"، وتارة تنشر تحت عنوان "أزمة علماء النفس المسلمين" ...

لكنها سرعان ما تحولت، بمشاركة جيل من طلابه وزملائه، مثل: البروفيسور الزبير بشير طه وغيره؛ إلى رابطة عالمية تحمل عنوان "الرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين".

نشطت تلك الرابطة، ونشرت عددًا لا بأس به من الأبحاث والدراسات في مجال العناية بالعلوم النفسية من منظور إسلامي عبر مؤتمراتها، مثل: مؤتمر الشارقة ٢٠٠٨، ومؤتمر كوالالمبور ٢٠١٠، ومؤتمر إندونيسيا ٢٠١٢.



والحق أن "مالك بدري" أثر على جيل من الأخصائيين  
النفسانيين في عدد من الدول في العالم الإسلامي، منها: السودان،  
والسعودية، والكويت، والمغرب، وماليزيا، وإندونيسيا، وتركيا  
... وغيرها من الدول.

### ٣- صرخة "الفاروقي" وجهود المعهد العالمي<sup>(١)</sup>:

ليس من قبيل إفشاء السر أن نقول إن الدكتور "إسماعيل الفاروقي" -رحمه الله- من أبرز مَنْ رفع عقيرته في أذن الباحثين المسلمين للعمل على "صياغة العلوم الاجتماعية والإنسانية (بما فيها علم النفس) صياغة إسلامية"، تلك الدعوة التي تحولت -بجهود الرجال العاملين معه- إلى مؤسسة، هي "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" في ١٩٨١م، وكان هدف المعهد المعلن هو: تجنيد جمهور العلماء والمثقفين المسلمين؛ لإعادة صياغة الفكر الإسلامي المعاصر ومناهجه في مجال العلوم والدراسات الإنسانية والاجتماعية.

---

(١) يرى بعض الباحثين أن المعهد العالمي للفكر الإسلامي كان ثمرة لجهود جمعية علماء الاجتماع المسلمين من قبل اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا وقد تأسست الجمعية ١٩٧٢ بادرت بمؤتمرات وملتقيات أدت لتأسيس الفاروقي للمعهد في ١٩٨١ في واشنطن.

ونورد هنا نماذج لإسهامات المعهد من خلال مطبوعاته ومؤتمراته، وهي أبحاث معاصرة تعتمد كثيرًا على ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته، ومن تلك الدراسات:

| المصطلحات القرآنية<br>في الدراسة                                                                    | الدراسة                                                                         | تاريخ<br>النشر    |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------|-------------------|
| النفس، الجسد،<br>الروح، الخير، الشر،<br>الإنسان، الطين، التزكية،<br>السنن                           | الآفاق التي<br>يفتحها القرآن<br>الكريم للبحث<br>النفسي، لتوفيق<br>محمد عز الدين |                   |
| الفطرة، كظم الغيظ،<br>الرؤيا، الاستقامة، الهدى،<br>العبودية لله تعالى، التفكير،<br>التسخير، البصيرة | المفاهيم<br>النفسية<br>الأساسية في<br>القرآن الكريم<br>وخطورة<br>الإصلاح،       | ١٤١٣ هـ<br>١٩٩٣ م |



| المصطلحات القرآنية<br>في الدراسة                          | الدراسة                                                      | تاريخ<br>النشر  |
|-----------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------|-----------------|
|                                                           | للدكتور حسن<br>الشرقاوي                                      |                 |
| الطفولة، البلوغ،<br>الشباب، التكليف،<br>الكهولة، الشيخوخة | مراحل<br>النمو الإنساني<br>ومطالبها،<br>لشادية أحمد<br>التل  | ١٤١١هـ<br>١٩٩٠م |
| القلب، النفس،<br>الطفل، الفطرة.                           | أبو حامد<br>الغزالي<br>وإسهاماته<br>النفسية، لفايز<br>الحاج. | ١٤١٣هـ<br>١٩٩٣م |

| المصطلحات القرآنية<br>في الدراسة                        | الدراسة                                                         | تاريخ<br>النشر  |
|---------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------|-----------------|
| دين متبع، أمن، نفس                                      | الآراء<br>النفسية عند<br>الماوردي،<br>لمحمد الطيب               | ١٤١٣هـ<br>١٩٩٣م |
| الفطرة، الأطوار،<br>السواء، النفس، تربية،<br>الإرادة... | الشخصية<br>الإنسانية في<br>التراث<br>الإسلامي، لنزار<br>العاني. | ١٩٩٨م           |
| النفس، الروح،<br>الفطرة، الإيمان                        | علم النفس<br>الحديث من<br>منظور إسلامي،<br>لمالك بدري           | ١٤١٢هـ          |

| المصطلحات القرآنية<br>في الدراسة                         | الدراسة                                                               | تاريخ<br>النشر |
|----------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------|----------------|
| النفس، العقل،<br>الطفولة، البلوغ،<br>الشيخوخة، العجوز... | نظرية<br>الأهلية بين<br>علم النفس<br>والفقه<br>الإسلامي،<br>لهدي هلال | ١٤٣٢هـ         |

وغيرها كثير جدًا مما نشره المعهد العالمي للفكر الإسلامي عبر جهده الطويل ومؤتمراته ومراكزه المتنوعة في واشنطن، والأردن، والمغرب، ومصر.

ولعلي أضرب أمثلة أخرى لدراسات من خارج نطاق المعهد، وهي كثيرة - أيضا -؛ لأن اهتمام أقسام علم النفس في الجامعات

في العالم الإسلامي، في كل من مصر والسعودية والسودان والأردن وفلسطين والجزائر وماليزيا، تجاوزت المئات من المؤلفات:

| المصطلحات<br>القرآنية في الدراسة                                                                             | الدراسة                                                      | تاريخ<br>النشر |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------|----------------|
| النفس، الروح،<br>القلب، العقل، القدر،<br>الإنسان، الدين، الفؤاد                                              | علم النفس<br>الإسلامي العام<br>والتربوي، لمحمد<br>رشاد خليل. | بدون           |
| الإيمان، الفطرة،<br>البرهان، الجسد، العقل،<br>الروح، المستقر،<br>المستودع، المصيبة،<br>البلاء، النعاس، الموت | من<br>علم النفس<br>القرآني، لعدنان<br>الشريف                 | ١٤٠٧هـ         |
| النفس، الأخلاق،<br>الدين،                                                                                    | دراسات في<br>علم النفس من                                    | ١٤٢٣هـ         |

| المصطلحات<br>القرآنية في الدراسة                              | الدراسة                                                                             | تاريخ<br>النشر |
|---------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------|----------------|
|                                                               | منظور إسلامي،<br>لصالح الصنيع.                                                      |                |
| النفس، التفكير،<br>التركيب، سنن، أنفس،<br>الناس، القلوب       | التأصيل<br>الإسلامي<br>للدراسات<br>النفسية، لمحمد<br>عز الدين توفيق                 | ١٤٢٣هـ         |
| العبودية، الإيمان،<br>الوحي، الكون، النفس،<br>الإنسان، التقوى | تمهيد في<br>التأصيل: رؤية في<br>التأصيل الإسلامي<br>لعلم النفس،<br>لعبد الله الصبيح | ١٤٢٠هـ         |

| المصطلحات<br>القرآنية في الدراسة                          | الدراسة                                                                      | تاريخ<br>النشر |
|-----------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------|----------------|
| النفس، الحب،<br>الغضب، الحزن، الندم،<br>الحسرة، العلم     | القرآن الكريم<br>وعلم النفس،<br>لمحمد عثمان<br>نجاتي                         | ١٩٩٧           |
| إنسان، بغي، تاب،<br>جميل، حسن، خبث،<br>رحمة، زنا، سرف ... | معجم<br>الألفاظ النفسية<br>والاجتماعية في<br>القرآن الكريم،<br>لعلي الفلواتي | ٢٠١٦           |
| النفس، التزكية،<br>السكينة، الوسوسة،<br>خداع، الشهوة ...  | تزكية النفس،<br>لأنس كرزون                                                   | ٢٠٠٨           |



| المصطلحات<br>القرآنية في الدراسة                | الدراسة                                                                | تاريخ<br>النشر |
|-------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------|----------------|
| النفس، التزكية،<br>أخلاق، الذكر،<br>الأخوة..... | تزكية النفس<br>في الإسلام وفي<br>الفلسفات<br>الأخرى لعلي أبو<br>حميدي. | ٢٠١٢           |

والدراسات في هذا الاتجاه كثيرة جدًا - والله الحمد.

#### ٤ - جمال التركي ورحلة التعريب:

اجتهد الدكتور/ جمال التركي، من محلته "صفاقس"، في مشروع نفساني عربي بإمكانات محدودة، ومع ذلك لا نزال ننعم بشماره التي نفاخر بها على الشبكة العنكبوتية.

وجهد شبكة العلوم النفسية العربية كثير ومتنوع، بين جوائز في العلوم النفسية، وتكريم للراسخين فيها، وسلاسل متنوعة من الإصدارات المهمة، وتمثل جهدها في هذا الصدد في لجنتها الدولية في علم النفس العربي الإسلامي، والتي قادها بجمال الدكتور/ جمال التركي، وشاركه عدد من الراسخين في العلوم النفسية في العالم العربي والإسلامي .. ونشرت لهم دراسات متعددة، منها:

- ١ - النفس بين علماء النفس المسلمين وعلماء النفس الغربيين، للدكتور/ صالح الصنيع، ٢٠١٣.
- ٢ - الاضطرابات النفسية بين السيكلوجيا الحديثة والمنظور الإسلامي، للأستاذة/ أسماء بوعود، ٢٠١٤.

- ٣- حالة التوبة: ماهيتها وأبعادها، موجباتها ودينامياتها  
 "نموذج مقترح"، للدكتور/ محمد أبو حلاوة، ٢٠١٥.
- ٤- الإنسان والكمال في فكر مسكويه، للأستاذ الدكتور  
 مصطفى عشوي، ٢٠١٥.
- ٥- الإنسان في فكر ابن قيم الجوزية، للأستاذ الدكتور  
 مصطفى عشوي، ٢٠١٥.
- ٦- تصنيف المراحل العمرية بين ابن فارس والراغب  
 والمدارس النفسية المعاصرة، لعبد الله الطارقي، ٢٠١٤.
- ٧- وغيرها من الدراسات ضمن إصدارات هذه اللجنة  
 الدولية المهمة.

## ٥ - وقفات مع بعض الممارسات في إيجاد العلاقة

### بين المصطلحين:

البحث في إيجاد العلاقة بين الوحي والعلم الحديث ضرورة ولهذا قال الدكتور رشدي راشد: لابد أن يركز التوطين للعلوم على معرفة صحيحة بين العلم العربي الإسلامي القديم والعلم الحديث، وضرورة إعادة الاعتبار لدوره الرائد في صيرورة هذا الأخير<sup>(١)</sup>

ويمكننا القول بأن البحث عن إيجاد العلاقة بين المصطلح النفسي والمصطلح القرآني اهتم به عدد من الباحثين في ثنايا جهودهم ومحاولاتهم، غير أنها كثيراً ما تتعرض لاضطراب يمكننا رصدده في الأسطر الآتية:

---

(١) مقال: الوطن العربي وتوطين العلم، لرشدي راشد، مجلة المستقبل العربي

## الوقفه الأولى: الاضطراب في إيجاد العلاقة:

كثير من المشتغلين بالعلوم النفسية ليس لهم صلة قوية بعلوم القرآن الكريم وعلوم الحديث الشريف، ومنهجية الاستدلال فيهما؛ لذا لوحظ -في كثير من المشاريع والدراسات- درجة من الخلط في تنزيل المفاهيم والمصطلحات النفسية على المفاهيم والمصطلحات القرآنية.

وقد لاحظ ذلك غير واحد، منهم: مالك بدري في دراسته الشهيرة "علم النفس الحديث من منظور إسلامي"، والدكتور محمد رشاد خليل في كتابه "علم النفس الإسلامي العام و التربوي"، والدكتور آزاد علي إسماعيل في كتابه "الدين والصحة النفسية"..  
ولعلنا نتابع شيئاً من تلك الملحوظات من خلال الآتي:

جاء في كتاب "تهذيب الأخلاق"<sup>(١)</sup>، الصادر عام ١٩١٣، أن ينزل تقسيم "أفلاطون" للنفس إلى (نفس عاقلة، وغضبية،

(١) اختلف كثيراً في نسبة الكتاب إلى مؤلف بعينه مع تعدد طبعات الكتاب، وقد

ناقش نسبته الدكتور/ محمد عابد الجابري.

انظر: <http://www.aljabriabed.net>



وشهوانية) على اعتبار المقابل لها في القرآن الكريم، و هو (نفس مطمئنة، ولوامة، وأماراة بالسوء).

وقريباً منه اتجاه وليد عبد الله زريق في كتابه "خواطر الإنسان بمنظاري علم النفس والقرآن" ١٩٩٦؛ حيث يرى أن النفس في القرآن واحدة، ولها عدة قوى، ثم يقسم النفس إلى: عاقلة ناطقة، وغضبية، وشهوانية.

ووقع في هذا الشرك كثير، منهم: عزت عبد العظيم الطويل، في كتابه "النفس والقرآن الكريم" ٢٠٠٥، حيث يقول: "إن المقصود باللاشعور" عند "فرويد" هو النفس الأماراة بالسوء، والمقصود بمنطقة الشعور" هو النفس المطمئنة، "والأنا العليا" هي النفس اللوامة".

وممن وقع في الخطأ ذاته الأديب الشهير عباس محمود العقاد في كتابه "الإنسان في القرآن الكريم"، في دعواه بعدم التعارض بين القرآن والتحليل النفسي<sup>(١)</sup>.

وفي شرك دعوى التطابق بين مفاهيم متنزعة من القرآن الكريم ومصطلحات التحليل النفسي وقع - أيضًا - كل من: عبد الرؤوف عبد الغفور في كتابه "علم النفس الإسلامي" ١٩٨٧م، وكذلك الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان في كتابه "الإنسان: الروح والعقل والنفس"، ١٩٨٧م.

وكذلك الدكتور محروس سيد مرسى في كتابه "التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية" - ١٩٨٨م.

ومن ذلك خلط كثير ممن كتب في علم نفس النسمو وعلم النفس التربوي أن قوله - تعالى -: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ

---

(١) علم النفس الحديث من منظور إسلامي، مالك بدري، ضمن أعمال مؤتمر "المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية" - ١٤١٢هـ (ص ٣٦٧).

مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ [الكهف] أنه يرمز  
لكون مرحلة المراهقة مرحلة إرهاق واضطراب؛ فيربط بين لفظ  
"يرهق" في الآية وبحث المراهقة في العلوم النفسية اليوم!

وهو وهم وخلط غير صحيح؛ فالفعل في الآية (يرهق) ماضيه  
(أرهق) بمعنى: أجهد وأوجد المشقة، غير أن المراهقة تعني مقارنة  
البلوغ، وهي من الفعل (راهق)، الذي يعني المقاربة، وشتان بين  
(أرهق) و (راهق)؛ فهما فعلاان متغايران!

الوقفة الثانية: الاضطراب في تحديد منهجية تحرير المصطلح  
النفسي:

لا يزال البحث في العلوم النفسية يعاني إشكالات مصطلحية  
متعددة، وأول تلك الإشكالات في لقب العلم نفسه، الذي هو  
مصطلحه الرئيس.

وحين يقع الاضطراب، وتحل الأزمة في المفاهيم الأولية  
البانية للعلم؛ فنحن أمام اضطراب في الرؤية التأسيسية للعلم، أو

إن شئت فقل إننا أمام اضطراب في "فلسفة العلم". وذلك كله هو ما حصل في علم النفس اليوم! فعلم النفس اليوم يعرف بأنه العلم الذي يدرس السلوك الظاهر للإنسان!!<sup>(١)</sup> فالعالم الداخلي للإنسان مستبعد تمامًا.

ولهذا؛ "فإن معظم علماء النفس غير راضين عما أنجزه علم النفس حول فهم الإنسان .. (بل) يقولون إن الإنسان الحقيقي لم تتم دراسته حتى الآن"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) كان يعرف علم النفس حين النشأة الأولى بعلم دراسة ما وراء الطبيعة، وموضوعه دراسة النفس أو الروح، لكن ما إن وصلنا إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حتى استقر موضوع هذا العلم على دراسة (السلوك الظاهر)، ولم يعد أحد من الباحثين الغربيين يقصد بهذا دراسة النفس أو الروح. انظر: مشكلات ترجمة المصطلحات في علم النفس، لعبد الناصر السباعي، ضمن أعمال ندوة قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية - ٢٠٠٠م (٢/٤٣).

(٢) دور الفلسفة المعاصرة في العلاجات النفسية، لمحمد عباس يوسف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٦ (ص ٥).

حتى إن "كارل يونج" لوح بالفكرة في كتابه "الإنسان يبحث عن نفسه"، وبحثها تحت عنوان "علم نفس بلا نفس"<sup>(١)</sup>.

وفي ضوء هذا يمكننا فهم مقولة الفيلسوف / "أندريه مالرو": (إن الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة في تاريخ الإنسان التي تجيب عن سؤال ما الإنسان؟ بـ (لا أدري)!!<sup>(٢)</sup>).

ويصرح النفسانيون -اليوم- بالتعارض الصارخ الذي يخرج به الباحثون في العلوم النفسية في كل مرة يدرسون فيها مصطلحاً واحداً بعينه من المصطلحات النفسية!

ومن هنا بدأت الدعوة إلى لزوم تحرير "المفهوم الكامن وراء المصطلح، ومحاولة تعريفه تعريفاً دقيقاً" .. فتم ابتكار مجموعة من

---

(١) الإنسان يبحث عن نفسه، كارل يونج، ترجمة سامي علام، ١٩٩٣م، دار الغربال، دمشق (ص ١٦).

(٢) مفهوم الإنسان في القرآن: قراءة في كتاب "مبدأ الإنسان"، للطيب بوعزة، مجلة دعوة الحق، العدد ٣٤٢، ١٤١٩هـ، ص (١١٨).

الحلول، من أبرزها: (التعريف الإجرائي للمصطلحات النفسية)، وهو التعريف عن طريق اختزال جميع القضايا وردها إلى مفردات بسيطة!

لكن المفاجأة أن مبتكر الحل تراجع عنه سنة ١٩٥٤، في الوقت الذي لا يزال كثير من النفسانيين في بيئاتنا يستخدمون الطريقة ذاتها في دراساتهم النفسية، وصنيعهم هذا هو ما جعل (مصطفى سويف) يسخر منهم؛ لأن مخترع الإجرائية تبرأ منها، وسمى صنيعهم ذلك (اتباع على حساب الإبداع).

وفي الحقيقة لم تهدأ المحاولات للخروج بالمصطلحات النفسية من المأزق.. الأمر الذي جعل سويف - نفسه - يقترح منهجية الوضعية المنطقية كحل، وأنها البداية المقنعة في الحل لمشكلة تعريف المفاهيم في علم النفس<sup>(١)</sup>.

لكن الإشكالية الأم أن كل المحاولات التفصيلية ستتم محاكمتها على الإشكال الأصلي، الذي هو (ما هو علم النفس أصلاً؟)؛ لأننا

(١) المصدر السابق.

سنتتهي في كل مرة إلى أن الذي يدرسه علم النفس بهذا المصطلح أو ذاك -أصلاً- ليس هو النفس، بل هو مظاهر النشاط النفسي ليس إلا!!

يقول محمد عباس: "إننا في عملنا لا ندرس النفس كما يوحى الاسم لأول وهلة، ولكننا ندرس مظاهر النشاط النفسي، أو ما يسمى بالوظائف النفسية"<sup>(١)</sup>.

والسؤال هنا.. لماذا تعثر تحرير مفهوم مصطلح النفس، أو علم النفس؟

يظهر للباحث أن السبب الرئيس في حصول الإشكالية هو: أن البحث في علم النفس وقف عاجزاً أمام حقيقة هذا المخلوق العجيب "نفس"، فلما أعيتهم الحيلة عن كشف كنه النفس والقبض على أحوالها وضبطها، مع حضور فكرة تقول "إنه لا يمكن الإيمان بما لا يمكن قياسه وما لم يتشياً أمام الأعين"؛ فكان لا بد من الهروب من الغيبي المجهول إلى المشاهد المحسوس؛ فتحول البحث من النفس إلى السلوك!

(١) المصدر السابق.

وهذا "أرسطو" نفسه يقول في مقدمة كتابه "النفس": «الحصول على معرفة وثيقة عن النفس أمر شديد الصعوبة»<sup>(١)</sup>.

يقول "كارل جانسبرز": في مؤلفه "علم النفس المرضي"، معلناً عجزه: «تظهر الحقائق النفسية كأنها جديدة، وبشكل يستعصي على الفهم؛ إنها تأتي واحدة تلو الأخرى، وليست واحدة متولدة من الأخرى.. فمراحل النمو النفسي للحياة السوية، شأنها في ذلك شأن غير السوية، تعطي هذا التتابع الذي يستعصي على الفهم. ومن ثم، فإن قطاعاً طويلاً في الحياة النفسية لا يمكن فهمه حتى على وجه التقريب. إن الحقائق النفسية لا يمكن دراستها من الخارج، كما أن الحقائق الطبيعية لا يمكن دراستها من الداخل»<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما حمل باحثاً وطبيباً عريقاً، مثل: الطبيب الفرنسي "ألكسس كاريل"، أن يعترف بهذه الحقيقة، حيث يقول: وفي

---

(١) كتاب النفس لأرسطو طاليس، ترجمة أحمد الأهواني، المركز القومي للترجمة ٢٠١٥، (ص ٤)

(٢) انظر: الإسلام بين الشرق والغرب، لعلي عزت بيغوفيتش، بفاريا - ألمانيا (ص ٦٩).

الحقيقة لقد بذل الجنس البشري مجهودًا جبارًا لكي يعرف "نفسه" ... لكن بالرغم من ذلك فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا، إننا لا نفهم الإنسان ككل ... وواقع الأمر أن جهلنا مطبق .. فأغلب الأسئلة عن الجنس البشري تظل بلا جواب<sup>(١)</sup>.

يكررها "كاريل" ليزيد الأمر وضوحاً أكثر فيقول: إننا لم نفهم الإنسان في حقيقته الكلية حتى الآن، ومعرفتنا - في حقيقتها - لا تتعدى التعرف على مختلف الأجزاء التي يتركب منها جسمه ... والحق أن جهلنا بأنفسنا عميق جداً.. إن الذين يدرسون "الذات

---

(١) الإنسان ذلك المجهول، ألكسس كاريل، مكتبة المعارف-بيروت، تعريب: أسعد فريد (ص ١٧). تحسن الإشارة هنا إلى أن هذا الرجل مع أنه حائز على جائزة نوبل، إلا أنه يحمل تحيزاً ضد غير الأوروبي الأبيض، حتى في العلم والفهم؛ إذ يرى أن العلم من خصوصيات الأوروبي الأبيض دون سائر البشر. انظر: فلسفة المشترك الإنساني بين المسلمين والغرب، لأحمد الفرق، إفريقيا الشرق، ص (١٣١).

الإنسانية يوجهون إلى أنفسهم أسئلة كثيرة جداً لا إجابة عليها. إن مناطق واسعة من عالمنا الداخلي مجهولة!!<sup>(١)</sup>.

وهذا الروسي الشهير "إيفان بافلوف" يعلن عجزه هو الآخر عن فهم "النفس"؛ حيث يقول: على مدى آلاف السنين والبشر مشغولون بالبحث في الأحداث النفسية وظواهر الحياة الروحية، والروح الإنسانية، ليس فقط من جانب علماء النفس أو المختصين المعنيين بهذه القضية، ولكن -أيضاً- من جانب جميع الفنون والآداب.. وامتلات آلاف الصفحات بأوصاف للعالم الداخلي للإنسان، ولكن حتى الآن لم يتكلم هذا المجهود بالنجاح<sup>(٢)</sup>.

وفي تالي الأمر نجد باحثاً، مثل: كارل بوبر، يرى في كتابه الشهير "النفس ودماغها" أن يحل الإشكال بالهروب من البحث المصطلحي لمفهوم النفس، فيقول: مناقشة النفس ... عرضة لأن

(١) المصدر السابق، ص (٥٨).

(٢) الإسلام بين الشرق والغرب، لعلي عزت بيغوفيتش (ص ٧١).

تقود إلى سؤال ما هي النفس؟ ولكن مثلما أشرت مرارًا، فإن أسئلة ما هو؟ لا طائل منها على الإطلاق!<sup>(١)</sup>.

بعد كل هذا العجز حول تحرير مفهوم لمصطلح "النفس"، كيف يمكن فهم باقي المصطلحات والمفاهيم؟ وكيف يمكننا فهم فلسفة العلم نفسه؟ وكيف يمكننا البناء على ما نؤمن ببقاء الإشكال المصطلحي المنهجي فيه؟

وهذا يقودنا لقضيتنا: كيف يمكن الحديث عن العلاقة بين أي مبحث نفسي ولفظ قرآني والحالة هذه، وكيف نقرأ كثيرًا من جهدنا البحثي حول لفظ نفسي قرآني ونحن لم نحرر اللفظ النفسي القرآني بعد؟!

وإن كان هذا مثالاً على إشكال مصطلحي في أصل العلم ولقبه الرئيس؛ فإن هذا الاضطراب يفتح بابًا للتحيزات المختلفة

(١) النفس ودماعها، كارل بوبر، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر - القاهرة،

للذهاب بالعلم إلى حيث يراد، وتوظيفه في أغراض وفي سياقات أخرى.

**الوقفه الثالثة: التحيز بالمصطلح النفسي بسبب اضطراب مفهومه:**

في ظل غياب تحرير صارم للمصطلح النفسي تم توظيف مصطلحات نفسية في مرات كثيرة نحو اتجاهات لها أغراض مشبوهة، ومن ذلك مصطلح "الانحراف" ما معناه؟ يرصد لنا الدكتور عبد الوهاب المسيري صورة التحيز الذي حصل بسبب غياب تحرير لمفهوم الانحراف، ولأنه لم يتم تحرير مفهوم للانحراف تم الذهاب به إلى اتجاهات مشبوهة؛ فأصبح كل شيء مقبولا تقريباً، وبهذا أسقط علم النفس من معجمه النظر لبعض الانحرافات على أنها انحراف؛ فتقبلها بقبول حسن.

واعتبر النشاط الإنساني، أيًا كان، نشاطاً محايداً، وأصبح من المستحيل الحديث عن إنسان سوي وآخر شاذ، ولا عن فعل سوي وفعل شاذ، وخذ مثالا على ذلك:

«كلمة "طفل غير شرعي" كلمة غير مقبولة؛ لأنها تعتبر قبولاً لمعايير مفارقة للظاهرة الحسية المادية وللصيرورة؛ فتم تغيير هذا المصطلح وتبديله بمصطلح "أبناء الأمهات غير المتزوجات"، لكن هذا المصطلح - أيضاً - يحمل تفريقاً بين الذكور والإناث؛ فأعيدت تسميتهم، وأصبحوا "أبناء آباء غير متزوجين».

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل زاد تطوراً ليزداد قبول الحالة؛ وأصبح يشار إليهم في بعض اللغات الأوروبية بأنهم "أبناء الطبيعة"، أو بالفرنسية "فيس ناتوريل *fils naturel*". وفي نهاية المطاف أصبح يشار إليهم بأنهم (أبناء الحب) .. ومؤخراً تمت ترجمته للعربية عند النفسانيين العرب باسم "يتعاطى الحب"؛ وبهذا تم نقل الخلط الغربي إلينا بكل أمانة وموضوعية - كما يقول المسيري<sup>(١)</sup>.

(١) اللغة والمجاز، لعبد الوهاب المسيري (ص ١٥٤).

وكذلك حين لم يتم تحرير مصطلح "الشذوذ الجنسي" تم التلاعب به لأجل إرضاء طائفة خاصة.

يقول مالك بدري حول ذلك: "عندما كنا طلابًا في الخمسينيات من القرن الماضي كنا ندرس في علم نفس الشواذ ممارسة اللواط تحت مصطلح السلوك الجنسي المنحرف Sodomy or abnormal sexual behavior، ثم تغير المصطلح للمثلية في السلوك الجنسي "homosexuality".

وبعد أن نجح تغيير الاصطلاح في تحييد اللواط من الناحيتين الدينية والأخلاقية؛ تبدل الاصطلاح إلى gay، أي "فرح"، بعدها ظهر اصطلاح "homophobia" أي اضطراب الخوف المرضي من ممارسي اللواط. وهذا انقلب الأمر، وأصبح من يرفض اللواط ويكرهه هو الذي يحتاج للعلاج النفسي، وليس الممارس لهذا الفعل المنحرف<sup>(١)</sup>.

(١) من مقدمة مالك بدري لكتاب "تصنيف المراحل العمرية" لعبد الله الطارقي،



وهذه التحيزات تدعو الغيورين على مستقبل البشرية كلها إلى ضرورة العناية بتحرير تلك الألفاظ وغيرها؛ حتى لا نترك فرصة لأي اتجاه يروم استثمار هذا الفراغ العلمي في الزج بالبشرية في أغراض لخدمة توجهات لجماعات متطرفة في أي نوع من التطرف الفكري أو العلمي أو المنهجي أو الأخلاقي.

وليس يمكننا أن نقف على مبادئ  
العلوم ما لم نقف على النفس  
ونعلم ما هي؟  
ابن باجه الأندلسي

أنموذج لمصطلح نفسي قرآني

غير مستعمل في العلوم النفسية



## أولاً: مقدمة

حين ندرس الألفاظ المتصلة بالنفس في سياقاتها المختلفة في القرآن الكريم، سنقف على مفردات كثيرة لم يستعملها النفسانيون، ومنها لفظ تقدم النفس وتأخرها، وتقديمها وتأخيرها، وتلك الألفاظ القرآنية غير المستعملة عند النفسانيين تفتح آفاقاً لمباحث وأبنية نفسية غير مسبوقة، تعطي تفرداً بمادة نفسية جديدة بالعناية خليقة بالاهتمام، وسنرى شيئاً من ذلك في هذا النموذج الذي نقف معه في الأسطر الآتية.

## ثانياً: تقدم النفس وتأخرها:

من الألفاظ المتصلة بالنفس الإنسانية في سياقها القرآني لفظا (التقدم والتأخر) ولفظا (التقديم والتأخير)، قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ

مَا قَدَمْتَ وَأَخَّرْتَ ﴿٥﴾ [الانفطار]، ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧] غير أن هذين اللفظين (التقدم والتأخر، أو التقديم والتأخير) لا نجد لهما وجودًا ولا أثرًا صريحًا في العلوم النفسية المعاصرة بنفس الحمولة المفاهيمية وأثرها السلوكي على الإنسان ونفسه المكلفة.

### ثالثًا: أصل القضية:

لقد وضع الله -تعالى- في وحيه أصلاً عاماً وهو قوله: ﴿إِن يَكُ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وتأمل كيف نظم بين تعداد مخلوقاته في الكون كله وبين أمره ووحيه، وبهذا أصبحت كل مخلوقاته، ومنها نفس الإنسان، يتنظمها

أنها (خلقه)، وكلها يقابلها أنها خاضعة ومتحركة بـ (أمره)؛ فلا يتحرك شيء في هذا الكون بغير إذنه.

إلا أن نفوس بني آدم شرفها الله من بين سائر تلك المخلوقات بمزايا عظيمة، أهمها الاختيار في القدرة على الوفاء بالأمر من عدمه .. فاجتمع لها الاصطفاء والابتلاء معاً .. ومن اصطفائه أن الله خلق آدم بيده، وأسجد له ملائكته، وسخر له الكون كل الكون، ولكن ذلك (الخلق) كله إنما أكرم به بنو آدم؛ ليقوموا بحق (الأمر) الذي خلقوا لأجله .. فتبارك الله أحسن الخالقين.

واشترك النفس مع الكون في (الخلق) أكسبهما الاتحاد في الخضوع لذات القوانين الرئيسة، والتي من أهمها: قانون الحركة الدائبة؛ لأن الجميع يسير إليه -سبحانه- ولا قرار له إلا إليه.

وتبع قانون الحركة الدائبة قانون التقدم والتأخر؛ لأن المتحركات لا بد وأن تخضع لإمكان أن يتقدم شيء منها على الآخر. ومن هنا خضعت لقانون "التقدم والتأخر"، قال -تعالى-: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٢٧) [المدثر].

ثم إن الله -تعالى- أمر النفس أن تقدّم وتبادر بعمل صالح ولا تتخلف عنه بتركه، فكان مصطلح "التقديم والتأخير"، فكل المنظومة الرباعية تعود إلى أصل واحد؛ ولهذا جمعها الطاهر بن عاشور بقوله:

«والتقديم: مستعار للعمل الذي يعمل لتحصيل فائدته في زمن آت (شبه) قصد الانتفاع به في المستقبل بتقديم من يحل في المنزل قبل ورود السائرين إليه من جيش أو سفر ليهيئ لهم ما يصلح أمرهم، ومنه مقدمة الجيش، وتقديم الرائد قبل القافلة. قال -تعالى-: ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]. ويقال في ضده: آخر، إذا ترك عمل شيء، قال تعالى -: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار] (١).



## رابعاً: تقدم النفس:

مدح الوحي للمتقدمين وذم المتأخرين يدعونا للبحث في حقيقة  
التقدم والتأخر:

أما التقدم والتأخر عند أهل العربية: فيقول الجوهري: «وقدم بين  
يديه، أي: تقدم. قال -تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾  
[الحجرات: ١]»<sup>(١)</sup>

وقال الكفوي: «يقال: (أقدم الرجل) إذا صار إلى قدام»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في (المصباح المنير): تقول العرب: وضع (قَدَمَه) في  
الحرب إذا أقبل عليها وأخذ فيها، وله في العلم (قَدَم) أي: سبق. و  
أصل (القَدَم) ما قدمته قُدَّامَكَ .. إلى أن يقول: و(تَقَدَّمتُ) القوم:

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري-دار العلم للملايين

(٢٠٠٧/٥).

(٢) كتاب الكليات (ص ١٥٩).

سَبَقْتَهُمْ، ومنه (مُقَدِّمَةُ) الجيش للذين (يَتَقَدَّمُونَ) بالثقل اسم فاعل،  
و(مُقَدِّمَةُ) الكتاب مثله<sup>(١)</sup>.

وقال المطرزي في المغرب: (قَدَّمَ وَتَقَدَّمَ) بمعنى، ومنه: مُقَدِّمَةُ  
الْجَيْشِ (وَمُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ) ... إلى أن يقول: مثله قال الله -جلَّ وعزَّ-:  
﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [هود: ٩٨]. ومنه: قَادِمَةُ الرَّحْلِ خِلاف  
آخِرَتِهِ، (وَقَدِمَ الْبَلَدَ): أتاه، من باب كَبَسَ، ومنه: رجل يَقْدُمُ بِتِجَارَةٍ<sup>(٢)</sup>.

ويضع الأصل العام الذي يرجع إليه التقدم فارس العربية ابن  
فارس فيقول: (قَدَّمَ) القاف والdal والميم أصل صحيح يدل على  
سَبَقٍ<sup>(٣)</sup>.

ولهذا يقول فارس مفردات القرآن الكريم الراغب الأصفهاني:  
«سبق: أصل السبق التقدم»<sup>(٤)</sup>، وهو بهذا يجعل السبق والتقدم بمعنى.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٩٣).

(٢) المغرب في ترتيب المعرب (٢/ ١٦١).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٥).

(٤) المفردات للراغب (ص ٢٢٢).

ويكرر الأصفهاني الإشارة إلى التقدم بمعنى السابق -أيضاً- فيقول: ﴿قَدَّمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] أي: سابقة فضيلة ... وقوله: ﴿لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قيل معناه: لا تتقدموه، وتحقيقه لا تسبقوه بالقول والحكم، بل افعلوا ما يرسمه لكم<sup>(١)</sup>، فأصبح معنى التقدم السابق.

### خامساً: تأخر النفس:

أما تأخر النفس فقد جاء في المعجم الوسيط: (أَخَّرَ) تأخر، والشيء: جعله بعد موضعه، والميعاد: أجله، (تَأَخَّرَ) عنه: جاء بعده وتقهر عنه ولم يصل إليه. (استأخر) تأخر، (الآخر) مقابل الأول. ويقال: جاءوا عن آخرهم... (الآخرة) مقابل الأولى، ودار الحياة بعد الموت، ومن العين: ما جاور الصدغ. (الآخر) الأخير والمتأخر عن الخير، والمؤخر المطروح، (الآخر) ضد القُدُم، يقال: رجع أخراً، كما يقال ذهب قُدُماً، وشق ثوبه من آخر: من خلف<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق (ص ٣٩٧).

(٢) المعجم الوسيط (٩/١).

ويقول ابن فارس: (أَخَرَ) الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التَّقَدُّم، وهذا قياس أخذناه عن الخليل فإنه قال: الْأَخِرُ نَقِيضُ الْمُتَقَدِّمِ. وَالْأَخَرُ نَقِيضُ الْقُدِّمِ، تقول: مضى قُدِّمًا وَتَأَخَّرَ أَخْرًا<sup>(١)</sup>.

والأصل الذي أثبتته ابن فارس في التأخر أنه يقابل المتقدم؛ هو ما أثبتته فارس مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، حيث يقول: الآخر: يقابل به الأول<sup>(٢)</sup>.

وهذا يبين أن مجرد عدم التقدم هو في الحقيقة تأخر!!

فتردد منزلة النفس الإنسانية بين التقدم والتأخر، هو على وجه التلازم والتقابل؛ فإن من لم يتقدم فهو في تأخر ولا بد.

ولئن كانت صورة ذلك يمكن إدراكها في الأعيان؛ فهي في المعاني أولى.. ومن هذا التلازم العكسي حتى في المعاني تفسير العلماء للتقدم

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٧٠).

(٢) المفردات للراغب (ص ١٣).

والتأخر في قوله -تعالى-: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧) [المدثر]. يقول السمعاني -رحمه الله-: «أي: يتقدم إلى الإيمان أو يتأخر عنه»<sup>(١)</sup>.

ويقول القرطبي: «وكان ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول: هذا تهديد وإعلام أن من تقدم إلى الطاعة والإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- جوزي بثواب لا ينقطع، ومن تأخر عن الطاعة وكذب محمدًا -صلى الله عليه وسلم- عوقب عقابًا لا ينقطع»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن جزي: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧) [المدثر]: ٣٧ [التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى، والتأخر ضده]<sup>(٣)</sup>.

وقال الزمخشري: «والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه»<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير السمعاني، دار الوطن، الرياض (٦/ ٩٨).

(٢) تفسير القرطبي، عالم الكتب (١٩/ ٨٦).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (ص ٢٥٠٨).

(٤) الكشف للزمخشري (٤/ ٦٥٥).

ويجمع الإمام ابن القيم تلك المعاني بقوله: «فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدم إلى ربه، وإن شغله بهوى أرواحه وبطالة تأخر، فالعبد لا يزال في التقدم أو تأخر، ولا وقوف في الطريق البتة. قال - تعالى -: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]»<sup>(١)</sup>.

ومثل التقدم التقديم، ومثل التأخر التأخير، وقد وردت صريحة في القرآن الكريم في مواضع كما تقدم، فقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] بنفس المعنى.

قال الطبري: «ما قدمت: عملت، وما أخرت: تركت وضيعت»<sup>(٢)</sup>.

ومثلها قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، مما بادر بالسبق به من عمل أو ضيعه وتركه فتأخر به.

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية (ص ١٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٢٦٨).

ومثلها قوله -تعالى-: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ ﴿١٤﴾ [التكوير: ١٤]، قال ابن عاشور: «علمت نفس ما قدمت وأخرت [الانفطار: ٥] -أي: كل نفس - علمت نفس ما أحضرت، أي: كل نفس»<sup>(١)</sup>.

وعلمُ النفوس بما قدّمت وأخرت يحصل بعد حصول ما تضمنته جمل الشرط؛ إذ لا يلزم في ربط المشروط بشرطه أن يكون حصوله مقارناً لحصول شرطه؛ لأن الشروط اللغوية أسباب وأمارات وليست عللاً.. ويلخص تلك المعاني ابن عاشور بقوله: «المراد بالتقديم المبادرة بالعمل، والمراد بالتأخير مقابله، وهو ترك العمل»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا انسجمت كافة المواضع في أصل التقدم والتقديم، وأصل التأخر والتأخير، من النفس الإنسانية.

(١) التحرير والتنوير (٧/٢٩٧)، وكأن بين اللفظين عموماً وخصوصاً أو

إجمالاً وتفصيلاً، فالإحضار أعم من التقديم. والله أعلم.

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/١٧٢).

سادسًا: بم تتقدم النفس الإنسانية وبم تتأخر؟

وهذا مبحث عملي سلوكي؛ إذ لا بد للتقدم من صور تطبيقية بها يتحقق، ويتضح ذلك في الآتي:

أولًا: ما جاء في القرآن الكريم:

قوله -تعالى-: ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر].

قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى-: «فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن يتقدم في طاعة الله أو يتأخر عن معصيته، قاله ابن جريج.

والثاني: أن يتقدم إلى النار أو يتأخر عن الجنة، قاله السدي.

والثالث: أن يتقدم في الخير أو يتأخر إلى الشر، قاله يحيى ابن سلام.

والرابع: أن يتقدم في الإيمان أو يتأخر عنه، والمعنى أن الإنذار قد حصل لكل أحد ممن أقر أو كفر<sup>(١)</sup>.

وخلاصة ذلك:

أن النفس تتقدم إلى الله -تعالى- حين تطيعه، وتتأخر عنه حين تعصيه؛ ولذا رغبها في التقدم وتوعدها في التأخر!

قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا

الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر] أي: فأريد بالمستقدمين الذين تقدموا  
الأحياء إلى الموت أو إلى الآخرة، فالتقدم فيه بمعنى المضي،  
وبالمستأخرين الذين تأخروا، وهم الباقون بعد انقراض غيرهم إلى  
أجل يأتي. والسين والتاء في الوصفين للتأكيد، مثل: استجاب، ولكن  
قولهم استقدم بمعنى تقدم<sup>(٢)</sup>.

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٨ / ٤١٠).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٤ / ٤٠).



وها هو الماورديُّ -رحمه الله تعالى- يلخص أقوال المفسرين فيها، وهي:

أحدها: أن "المستقدمين" الذين خلقوا، و "المستأخرين" الذين لم يخلقوا، قاله عكرمة.

الثاني: "المستقدمين" الذين ماتوا، و "المستأخرين" الذين هم أحياء لم يموتوا، قاله الضحاك.

الثالث: "المستقدمين" أول الخلق، و "المستأخرين" آخر الخلق، قاله الشعبي.

الرابع: "المستقدمين" أول الخلق ممن تقدم على أمة محمد، و "المستأخرين" أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، قاله مجاهد.

الخامس: "المستقدمين" في الخير، و "المستأخرين" في الشر، قاله قتادة.



السادس: "المستقدمين" في صفوف الحرب،  
و"المستأخرين" فيها، قاله سعيد بن المسيب.

السابع: "المستقدمين" من قتل في الجهاد، و"المستأخرين"  
من لم يقتل، قاله القرظي.

الثامن: "المستقدمين" في صفوف الصلاة، و"المستأخرين"  
فيها<sup>(١)</sup>.

وخلاصة ذلك: أن الله -تعالى- أعلم بمن تقدم وبمن تأخر  
على أي حال، سواء من مات أو تأخر أجله، أو بادر بالخير أو من  
تخلف عنه.. وكل صورة للتقدم والتأخر هو أعلم بها - سبحانه -

قوله -تعالى-: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [١٣] [القيامة: ١٣]

قال الطبري: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله:

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي (٣/١٥٦).



﴿يَبُوءُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ﴾ من طاعة الله ﴿وَأَخَّرَ﴾ مما ضيع من حق الله -تعالى- ... وعن قتادة: بما قدم من طاعته، وآخر من حقوق الله<sup>(١)</sup>.

قال ابن الجوزي: ﴿يَبُوءُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾<sup>(١٣)</sup> فيه ستة أقوال:

أحدها: بما قدم قبل موته، وما سن من شيء فعمل به بعد موته، قاله ابن مسعود وابن عباس -رضي الله عنهم-.

والثاني: ينبأ بأول عمله وآخره، قاله مجاهد.

والثالث: بما قدم من الشر وآخر من الخير، قاله عكرمة.

والرابع: بما قدم من فرض وآخر من فرض، قاله الضحاك.

والخامس: بما قدم من معصية وآخر من طاعة.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/٦٢).



والسادس: بما قدم من أمواله وما خلف للورثة، قاله زيد ابن أسلم<sup>(١)</sup>.

وخلاصته: أن ما يقدمه الإنسان أو يؤخره في كتاب عند الله - تعالى- لا يضيعه، وهو تحضيض على فعل الخير والطاعة، وإنذار من مغبة ترك الطاعة وفعل ضد الخير.

ثانيا: ما جاء في السنة:

التقدم في التبكير إلى الصلاة: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- رأى في أصحابه تأخراً؛ فقال لهم: «تقدموا فائتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله»<sup>(٢)</sup>.

التقدم بالتبكير لصلاة الجمعة على التحديد: لما جاء عن أبي هريرة قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة إذ دخل

---

(١) زاد المسير (٨/ ٤٢٠).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٢٥).

عثمان بن عفان فعرض به عمر فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء؟ فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، ما زدت حين سمعت النداء أن توضعأت ثم أقبلت. فقال عمر: والوضوء أيضًا؟ ألم تسمعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل<sup>(١)</sup>."

التقدم إلى الصفوف الأول: وهو من لوازم التبكير للصلاة بالجملة، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار»<sup>(٢)</sup>.

التقدم بالتعجيل في الخروج للحج: فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد منكم الحج فليتعجل».

(١) صحيح مسلم (٢/٥٨٠).

(٢) سنن أبي داود (١/٢٣٨). وقال الألباني: «صحيح».

وعن الأعمش قال: كان حبيب وأصحابه يتأخرون حتى يدخل من ذي القعدة ما شاء الله، فكره ذلك إبراهيم<sup>(١)</sup>.

سابعًا: ما أوجه الإعجاز في هذا التلازم بين التقدم والتأخر؟

**الوجه الأول:** بقاء النفس الإنسانية في تحفيز دائم لتلبية مقاصد التكليف الشرعي، وهو من الإعجاز التشريعي.

فالإنسان إذا علم بأن منزلته في إيمانه، تؤثر في منزلته في آخرته؛ فإذا لم يتقدم فيها فإنه يتأخر لا محالة؛ فيحمله ذلك على دوام الطاعة والتنامي فيها، وترك المعاصي والتجافي عنها طيلة حياته قدر المستطاع.

**الوجه الثاني:** الانسجام مع حركة الكون في التقدم والتأخر، فليس شيء في الكون إلا وهو يتحرك بناموس وقانون صارم لا يعرف التخلف؛ لأنه سنة الله -تعالى- في الكون والأنفس.

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٦٣٤).

وكل تلك السنن تسير في سياق واحد لا يعرف التخلف أو التقهقر؛ لأن الله -تعالى- يرينا آياته في الأنفس كما يرينا آياته في الأكوان والأفلاك.. ولهذا قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسير قوله -تعالى-: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]: «ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشریح الدال على حكمة الصانع -تبارك وتعالى-. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحيله، وحذره أن يجوزها، ولا يتعدها»<sup>(١)</sup>.

وبهذا يكون الوحي مبيناً لسنن الله -تعالى- في الأكوان، و سننه في الأنفس.. والتي منها هذه السنة الثابتة: أن الجميع في حركة لا تعرف التوقف؛ إما تقدم أو تأخر، حتى في معاني الإيمان ومراتب الدين!

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٧).

**الوجه الثالث:** التلازم بين التقدم والتأخر فيه تطابق مع زيادة الإيمان ونقصه بالجملة .. فإن التقدم بالطاعة أو التأخر بالمعصية مؤثر في إيمان المسلم؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .. وأي تقدم أو تأخر أوضح من هذا؟

**الوجه الرابع:** تطابقه مع ميزان التقييم الشرعي في الترتي بين مراتب الدين من الإسلام إلى الإحسان.

فإن المتقدم إلى الله -تعالى- ممدوح .. والمتأخر عن أمره مذموم، وبين تلك المنزلتين درجات .. وهي التي يتحرك فيها الإنسان بين تقدمه وتأخره، وأنت تلاحظ كيف ربط الله تعالى تحصيل العبد لمرتبة الولاية -بحيث يكون الله وليه- بالعمل والسبق والتقدم بالإكثار من النوافل والقربات، كما جاء في الحديث القدسي في (صحيح البخاري): «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»<sup>(١)</sup>.

(١) الجامع الصحيح للإمام البخاري (٨ / ٦٤).

الوجه الخامس: اتساق التقدم النفسي بالعلو الذي يناسب مراد الله -تعالى- حتى حصول الولاية التي هي المتهى للنفس في علاقتها بالله - عز وجل -.. ودنو التأخر ودركاته الكثيرة في صور البعد عن الله -تعالى- والتخلف عن ركب الهداة المهتدين. عياداً بالله - عز وجل -.

ثامناً: كيف نحضر هذه المنظومة في علمنا النفسي والتربوي؟

يمكن اقتراح مسائل في ذلك للعاملين في الإرشاد والعلاج من خلال الآتي:

أ- تحفيز النفس بشمرة المبادرة:

حين نحفز المسترشدين بالمبادرة بالعمل ببيان ثمرته، ودرجة تحفيز الله -تعالى- للإسراع بفعل العمل الصالح والجيد والنافع للبشرية؛ يكون في ذلك تأثير بالغ على بناء روح المبادرة والإصرار على الفعل، وعدم ترك النفس إلى الركون والسكون؛ لأنها إن

لم تؤخذ بالإسراع في الفعل فإنها ستتقاعس، وهذا من الحكم الخفية في امتداح التقدم والإسراع في فعل الخير.

ب- استعمال بدائل السبق بالعمل يؤثر في علاج كثير من الاضطرابات:

فلو نجحنا في حمل المسترشدين على المبادرة والإسراع في فعل جميل، على هيئة يداوم فيها على ذلك الفعل الحسن، حتى تستقيم له نفسه في الاستجابة للفعل الحسن والإسراع والسبق به؛ فإن ذلك يمكن أن يعالج كثيرًا من الاضطرابات السلوكية، والتي منشؤها ترهل قوى النفس واستسلامها لبعض الأفكار التي تؤدي به للاكتئاب والقلق المستمر والسلبية السلوكية والنفسية.

ت- تقبيح التأخر والتأخير يحصن النفس من التراجع:

حين نشوه صورة التراجع، وصورة التأخر في نفوس المسترشدين؛ فإنهم يحرصون على عدم ترك السبق والتقدم؛ لأن



مغبة التأخر والسلبية وخيمة في العاجل والآجل، في الدنيا والآخرة،  
في القريب والبعيد.

ث - مقياس التقدم والتأخر:

حين نفعل هذا المفهوم النفسي القرآني يمكننا حينها، من خلال  
ما سبق، وضع مقياس علمي يقيس درجة تقدم النفس وتأخرها؛ الأمر  
الذي يسهل عملية وضع خطة علاجية لرفع درجة التقدم وعلاج سلبية  
التأخر، حين يثبت المقياس مستوى من التراجع في ذلك. والله أعلم

الجسد تابع مسخر للنفس، وهو الآلة التي  
تفعل بها النفس أفعالها، والنفس هي مناط  
الأمر كله؛ فهي التي تفهم وتعقل.  
أحمد كرار الشنقيطي

تأثير المصطلح النفسي القرآني

في الممارسة النفسية



## أولاً: مقدمة:

المعرفة النفسية شأنها شأن كل معرفة من حيث كونها تدور حول مفاهيم ومصطلحات هي "خزان ممتلكاتها" من المعاني الكلية والمفاهيم المرجعية.

غير أن الجديد هنا أن المصطلحات النفسية في القرآن الكريم هي أسمى من كونها ألفاظاً اصطلاح عليها الناس؛ إذ غدت من كلام الله -تعالى-، وهذا يحملنا على الانتباه للتطور الدلالي الذي طال تلك المصطلحات من بعد أن كانت من كلام الناس حتى غدت من كلام الله -تعالى-، تحمل دلالة أسمى من تلك التي كانت تحملها.

والمفاجأة هنا حين نقف بالفعل على حقيقة أن الوحي سمى المصاب بالمرض مريضاً ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]، والوحي سمى العلاقة بين الذكر والأنثى، المرتبطين بعقد شرعي، (زواجاً) فقال: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ [النساء: ١٢]، وقال لنييه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. والوحي سمى العلاقة بينهما (نكاحاً) فقال: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَزَوَّجَ﴾ [النساء: ٣]. والوحي سمى مرض القلب مرضاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]، وسمى عللاً حسيةً بأسمائها فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]، وسمى كل ما يقع بين الناس في علاقاتهم من حيث البيع والشراء، والنكاح والطلاق، والشجار والتراضي، والعداوة والمحبة، والسلم والحرب، والقضاء والتقاضي؛ وشرع على ضوء تلك الأسماء أحكاماً ترتبط بدلالات تلك الأسماء. الأمر الذي يجعل التعامل مع تلك الوقائع في أي سياق نفسي أو تربوي أو اجتماعي

بحاجة لنوع استحضار لتلك الدلالات القرآنية أثناء الممارسة النفسية أو التربوية أو الاجتماعية!

أما المصطلحات الوافدة على اللسان العربي، فلا بد من الانتباه - كذلك - للانزياح الدلالي الذي يحصل بترجمة تلك المصطلحات وتسكينها داخل معرفتنا النفسية؛ إذ حينها يحصل - ما يقول عنه الدكتور عبد الله إبراهيم -: «الانزياح للمفهوم الغربي على الاصطلاحات المستخدمة في علومنا»؛ وحصول ذلك يرى أنه من مظاهر "الخضوع لحاجات التلقي والاتصال بالثقافات الأخرى؛ إذ يدخل (الآخر) مؤثراً في إضفاء دلالات أخرى للمصطلح، أو مخلخلة الدلالة القارة له ... وتهيمن الثقافة الغربية، التي هي مظهر من مظاهر "المركزية الغربية"، على آلية عمل المصطلحات في الثقافة العربية الحديثة، وتزيح كثيراً من دلالاتها، عما كانت تشكلت على وفقه في الأصل»<sup>(١)</sup>.

---

(١) المطابقة والاختلاف، عبد الله إبراهيم، ٢٠٠٤، بحث في نقد المركزيات

الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت - لبنان (ص ٥٥٩).

ولك أن تسأل: متى بدأ هذا المد المصطلحي الغربي الذي بات ينزاح على مفاهيم إدراكنا لذواتنا وعلاجنا لأنفسنا؟ فأقول:

يرى بعضهم أن مشكلة المصطلحات بدأت في أواخر القرن التاسع عشر؛ حين استطاعت المراكز البحثية الغربية أن تلقي كثيرًا من نتائجها إلى العالم الثالث، فتلقاها بالترجمة والنقل.

ويرى بعض الباحثين أن ذلك صحبه إشكاليات في نقل المصطلحات وإيجاد المقابل العربي لها، وكانت تلك السلسلة بدأت بعدد ثمانية (٨) مصطلحات، ثم تطور الأمر إلى أن وصل إلى مائة (١٠٠) مصطلح، كما نقل الدكتور النملة عن حسين المرصفي عن كتابه «الوسيلة الأدبية»<sup>(١)</sup>.

لكن الأمور بات يستعصي على الحصر بعد ذلك في حق العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ لعظم كثرة الوارد علينا في مصطلحات الاضطرابات النفسية وغيرها.

---

(١) إشكالية المصطلح في الفكر العربي، علي إبراهيم النملة، ١٤٣١هـ، بيسان، بيروت - لبنان (ص ٤٩).

## ثانيًا: النسق الثقافي وأثره في الممارسة النفسية:

النسق الثقافي الذي يعيش فيه الفرد (لغته، وطنه، مجتمعه) لا يمكن استبعاده في تشخيص الحالة النفسية، ولا يمكن استبعاده بالتالي في خطة الإرشاد أو العلاج النفسي.

ولهذا؛ فإن طالب الخدمة النفسية سيعبر عن شكواه النفسية بلغته، ولسانه العربي، من خلال تجربته وثقافته، وذلك الموقف الثقافي واللغوي والاجتماعي لا يمكن استبعاده عند التشخيص أو العلاج؛ وهذا ما حمل بعض العلماء للدعوة إلى جمع المفردات المتعلقة بالناحية الصحية باللغة العربية<sup>(١)</sup>.

ولهذا -أيضًا- كرر الباحثون في العلوم النفسية التنبيه على تأثر فهم وعلاج الاضطرابات النفسية بالمصطلحات والأسماء، يقول الدكتور أحمد النابلسي: «يُجمع العاملون في تطبيق العلوم

---

(١) البوشيخي، الشاهد، ٢٠٠٨، نظرات في تعريب العلوم الصحية وأهميته في المصطلح الصحي في التراث، مبدع، فاس - المغرب، ص (٢١).

الإنسانية على ضرورة تعديل مناهج هذه العلوم بما يتوافق مع الوقائع الإنسانية الثقافية»<sup>(١)</sup>.

والأنساق الثقافية لكل أمة ومجتمع حاضرة في كل مكان. وفي سياق مشابه يقول الدكتور علي كمال: «إن الأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية، وفي مقدمتها الفصام، تتعلق بأداة الفكر وتوازنه واختلاله، ومن طبيعة الفكر أن تكون اللغة هي الأداة الرئيسة والصادقة للتعبير عنه، سواء في حالة التوازن أو الاختلال. وهذا الواقع يحتم ضرورة الرجوع إلى لغة الفرد وتعايره؛ لفهم حالته العقلية وتقرير صحته من خلله ... وباعتراف العلماء الغربيين فإن أول تصنيف للأمراض العقلية هو تصنيف العلماء العرب الأوائل»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً: «من المؤكد أن الاضطراب النفسي، على أنواعه، يتصاحب مع الاضطراب اللغوي .. فكيف يستطيع

---

(١) على طريق المدرسة العربية للعلوم النفسية، محمد أحمد النابلسي، ٢٠١٠، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد (٢٨-٢٧) / صيف وخريف (ص ٢٣٢).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٣٢).

الاختصاصي التعمق في دراسة هذه الحالات إذا هو لم يدرس اضطرابات اللغة العربية لدى المرضى العقليين المتكلمين بالعربية"<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: خطر ابتلاع مصطلحات منزوعة القيم:

حين نتلقى العلوم النفسية مترجمة عن الآخر، بغير تصحيح لمصطلحاتها وفق قيمنا الحضارية المتعينة؛ نقع في إشكالية ابتلاع مصطلحات منزوعة القيمة.

وفي هذا السياق دعا غير واحد من العلماء -حتى في العلوم التطبيقية- إلى أنه يجب أن تتم عملية النقل عن الآخر بنوع من التأمل والحذر؛ لأن العلوم الغربية نجحت في تحييد القيمة عن العلم (فالعلم -حسب تصور هؤلاء- منفصل عن القيمة بالإنجليزية: فاليوفري value-free)<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق (ص ٢٣٤).

(٢) اللغة والمجاز، عبد الوهاب المسيري، ١٤٢٣هـ، دار الشروق، القاهرة،

مصر (ص ٧).

ونزع القيمة في العلوم الطبيعية التطبيقية - مع خطورتها - لن يكون بخطورة نزعها من العلوم الإنسانية. وهذا مادعا "جيمس هنت" -ؤسس جمعية لندن الأنثروبولوجية- للقول: بأن الطريقة الوحيدة لجعل علم الأنثروبولوجية أكثر حيادية هو تحريره من القيم الأخلاقية الإنسانية<sup>(١)</sup>.

وبالفعل نجحوا في نزع القيمة عن العلوم؛ حتى تستجيب لاتجاهات الحداثة وتنسجم معها.

ولعل أسهل مثال على استخدام مصطلحات منزوعة القيمة استخدامنا لمصطلح (جنس) في مقابل (sex)، إذ عدم التنبه للترجمة المسطحة ذات البعد المادي الواحد، التي ينزع عنها اللون والطعم، بحيث لا ترتبط بأي قيمة إنسانية؛ ربما يجعلنا نصل مستقبلا لما وصل إليه الفكر الغربي في اعتداد (الشذوذ الجنسي) أمراً عادياً، وهو مما نبه عليه الدكتور/ عبد الوهاب المسيري: حيث ينقل عن بعض الأطباء

---

(١) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ١٤٢٣هـ، دار

الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ص (١٨٥).

الغريبين تقريره بأن الشذوذ حالة طبيعية؛ لأن له أصولاً بيولوجية، والشاذ جنسياً ليس مسئولاً عن شذوذه، فهذا يقابل بالترحاب؛ لأنه حول الشذوذ إلى حالة نهائية طبيعية.

وقد أعيد تصنيف الشذوذ الجنسي في المحافل العلمية الغربية باعتباره شيئاً طبيعياً عادياً<sup>(١)</sup>.

بل تطوّر الأمر مؤخراً حتى غدا المضطرب هو من يرفض الشذوذ الجنسي!! وتمتع الشواذ بالحماية القانونية الدولية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، (ص ١٨٩).

(٢) وحسن أن نذكر أنه في سنة ٢٠١١ اعتمد مجلس حقوق الإنسان، التابع للأمم المتحدة، استحداث منصب خبير مستقل لحقوق المثليين = المثليات ومزدوجي الجنس ومتحولي الجنس، ويكون من مهامه تأمين الحماية من العنف والتمييز بسبب التوجه الجنسي أو الهوية الجنسية.

وعلى نحو مشرف عبرت منظمة التعاون الإسلامي، على لسان المملكة العربية السعودية وباكستان وغيرها من الدول الإسلامية، عن قلقها، ورفضها لهذا القرار؛ انطلاقاً من أحكام الشريعة الإسلامية والفطرة الإنسانية السوية. وكان لمنظمة الإيسيسكو حضورها الفاعل من منظور تربوي ثقافي حضاري، بالتعاضد مع كافة المنظمات التابعة لمنظمة التعاون الإسلامي. وتشرفتُ بتمثيل المنظمة في المؤتمر

لا بد أن نكون صرحاء أمام هويتنا الحضارية الثقافية، وأن نحترمها ونعتد بها؛ لنثبت للبشرية صلاحيتها وتماسكها الفطري والإنساني.

ولهذا؛ يحق لنا أن نهتف في آذان المختصين في العلوم الاجتماعية بعمومها، والنفسية خاصة، بمقولة الدكتور محمد بالفقيه: «إن التجربة الغربية تؤكد، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو بصير، أنه يتعذر تأسيس علوم اجتماعية، تخدم الإنسان حقاً، دون إحياء المعنى القرآني...»<sup>(١)</sup>.

ومن هذه التوطئة اليسيرة نقف مع نماذج لاضرابات نفسية أو عوارض نفسية؛ لنرى كيف الممارسة النفسية حين نحضر المفهوم القرآني في تلك الألفاظ والمصطلحات النفسية!

---

التاريخي المهم الذي دعت إليه منظمة التعاون الإسلامي ومجلس الأسرة في المملكة العربية السعودية في ٩ ديسمبر ٢٠١٨ بجدة.

(١) العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم: تأصيل الصلة، محمد بالفقيه، ٢٠٠٧، دار المعرفة، الرباط - المملكة المغربية (٣١٩ - ٣٢٠).

## المصطلح الأول: مصطلح الأرق:

### Nonorganic Insomnia

هذا مصطلح نفسي له وجود في نصوص كثيرة تعلم الأدب والهدي الإسلامي في النوم، وفي الأرق وفي الفزع من النوم، وفيما يصنع الإنسان بعد النوم، وكيف يحدد موقفه من المنامات والأحلام، كل ذلك من الموضوعات المرتبطة بهذا المصطلح.

ومع حصول التطابق في اللفظ والتشخيص فلا ينبغي أن يعالج أي من اضطرابات النوم دون الرجوع لتلك النصوص ذات الصلة بذاتنا وتراثنا المتعين.

يقول ابن الأثير في (الأرق): هو السهر، رجل أرق إذا سهر لعة، فإن كان السهر من عادته قيل: أرق، بضم الهمزة والراء<sup>(١)</sup>.

---

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر (١/٨٣).

قال السندي: «الأرق -بفتحتين- السهر بالليل، وهو أن يضطرب على الفراش ولا يأخذ النوم»<sup>(١)</sup>.

ونقل الإمام الرازي عن بعضهم: «الأرق والسهر يوجبان الضعف والكلال، والنوم يفيد عود القوة والنشاط، واشتداد القوة»<sup>(٢)</sup>.

والعلوم النفسية المعاصرة اليوم ترى الأرق أنه: كما يقول الدكتور شمسي باشا: عدم القدرة على الدخول في النوم .. أو عدم القدرة على أن ننام المدة التي نعتقد أنه ينبغي أن ننامها.. أو حدوث تقطع متكرر في النوم أثناء الليل<sup>(٣)</sup>.

---

(١) حاشية السندي على ابن ماجه (٦/ ٤٧٠).

(٢) تفسير الرازي (٤/ ٤٢٤).

(٣) انظر: الدكتور شمسي باشا وهو صاحب كتاب النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن من منشورات دار المنارة

<https://www.drchamsipasha.com>

وانظر: الطب النفسي المعاصر، لأحمد عكاشة، الأنجلو المصرية،

القاهرة - مصر (ص ٦٠٧).

وفي الحقيقة فإن الأرق ظاهرة شائعة جدًا في أوروبا وأمريكا، وقد كتبت عنها الكتب والمقالات، يقول الدكتور "إيفريث" في مقال نشرته مجلته *American Journal of Medicine*: «إن مشكلة الأرق هي من أكثر الشكايات شيوعًا في عيادات الأطباء في أمريكا.. فثلث الناس يشكو من إحدى مشاكل النوم؛ ولهذا تجد المنومات من أكثر الأدوية استعمالًا بين الناس هناك».

وحول انتشار استعمال المنومات في أمريكا كتب "البروفيسور ديلي" في المجلة الطبية *Primary Care* يقول: «إن نسبة المصابين بأرق شديد في أمريكا تزداد من ٩٪ عند الشباب إلى أكثر من ٣٥٪ عند المسنين».

ويكاد المرء يصاب بالذهول حينما يقرأ ما يقول "البروفيسور ديلي" في نفس المقال: "يجب عدم الإقلال من أهمية مشاكل النوم في الولايات المتحدة؛ فإن ٤٠٪ من كل البالغين في أمريكا يستعملون المنومات بانتظام"<sup>(١)</sup>.

(١) موسوعة البحوث والمقالات العلمية (٢)، وانظر: مقالة حسان باشا

لكن اضطراب النوم -وفق النموذج الإسلامي- له حلوله من ثقافتنا المرجعية، فلا تعالج الحالة بتجاهل لتلك الثقافة، التي من أهم تدابيرها: إعداد المكان قبل النوم، ونفض الفراش مع ذكر الله -تعالى-، والوضوء وصلاة الوتر قبل النوم، وتلاوة أذكار النوم وتعاويذه عند النوم، لدرجة أن تحدد له النصوص آخر الكلمات التي ينبغي أن يقولها قبل النوم.

كل ذلك من الأمور المؤثرة التي لها صلة بحصول الأرق!

أولاً: الأذكار قبل النوم:

عن البراء بن عازب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أوصى رجلاً فقال: « إذا أردت مضجعك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنيك الذي أرسلت. فإن مت مت على الفطرة<sup>(١)</sup>. »

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٧٠).

## ثانيا: اتخاذ الحفظ الإلهي بالأذكار لأجل الأرق:

وذلك بقول الأذكار الواردة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأجل الأرق، ودليل ذلك ما جاء عن محمد بن محمد بن يحيى بن حبان: أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان يؤرق، أو أصابه أرق، فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمره أن يتعوذ عند منامه بكلمات الله التامة<sup>(١)</sup>.

## ثالثا: اتخاذ السبب المادي لأجل الأرق:

قالت عائشة: أرق النبي -صلى الله عليه وسلم- ذات ليلة فقال: «ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة». إذ سمعنا صوت السلاح، قال: «من هذا»؟ قيل: سعد يا رسول الله، جئت أحرصك. فنام النبي صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا غطيته<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أخرجه ابن السني (رقم ٧٣٦)، وأصله عند أبي داود (٢/ ٢٣٩) والحاكم

(١/ ٥٤٨)، وأحمد (٢/ ١٨١)، وإسناده حسن. انظر: السلسلة الصحيحة:

(١/ ٢٦٣).

(٢) رواه البخاري (٨/ ٤٥٢).



وقد يكون اتخاذ السبب المادي بتناول عقار طبي فيما لو كان سبب الأرق علة مرضية عضوية، أو أيًا كان نوعها، وبالتالي نكون قد أخذنا بالهدي النبوي.

وبهذا نعلم أنه لا يحسن أن نعرض عن هذا الهدي صفحا ونحن نتعامل مع اضطرابات النوم، وقد تعامل معها الوحي بما يحقق ارتباط المريض بخالقه - سبحانه وتعالى - .. فهو وحده القادر على إطابة الحياة وتحسينها، وكم عين حرمها الله - تعالى - لذة النوم، وكم من عين أخرى تبيت في غطيظ وسعادة.

## المصطلح الثاني: الوسواس القهري:

### Obsessive Compulsive Disorder

الوسواس القهري أحد أقدم الاضطرابات النفسية التي يشكو منها الإنسان منذ القدم.. وكان يظن أنه أقل العلل النفسية شيوعاً، ونسبة المرضى به حوالي ٥ ٪ من جملة مرضى العصاب<sup>(١)</sup>.

وفي دراسة إحصائية حديثة تمت في خمس سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية كانت النتيجة أن هناك (٣٠٠) شخص يعانون من هذا المرض لكل عشرة آلاف شخص، ومنذ ذلك الوقت توالى الإحصاءات في كثير من أنحاء العالم وأثبتت أنه رابع مرض نفسي من حيث الانتشار<sup>(٢)</sup>.

يقول الدكتور أحمد عكاشة: «إن هذا العصاب من أكثر الاضطرابات النفسية ألماً ومعاناة؛ فقد وُجد أن نسبته بين المترددين على عيادة الطب النفسي بمستشفى جامعة عين شمس

(١) الصحة النفسية والعلاج النفسي (ص ٤٢٣).

(٢) صحيفة عكاظ السعودية، العدد ١١٦٧٥ (ص ١٦).

- فقط - حوالي ٦, ٢٪، وهو حوالي ٤٪ من مجموع الاضطرابات العصائية. وتدل الأبحاث الحديثة على أن شيعه بين مجموع الشعب يتجاوز توقعاتنا السابقة بحوالي ٥, ٢٪<sup>(١)</sup>.

وأثبت الباحث علي الديان في كتابه "الوسوسة وأحكامها في الفقه الإسلامي" سبق علماء الشريعة علماء النفس المعاصرين في إطلاق لفظ "الوسواس القهري" على هذه العلة المرضية بكل ألوانها؛ حيث وجد أن الإمام محمد الرملي هو أول من سمى هذا العرض بهذا الاسم في كتابه "نهاية المحتاج"<sup>(٢)</sup>.

## ١ - الوسواس في القرآن الكريم:

كلمة "الوسواس" وحدها لفظ عربي عتيق، وقد جاء في القرآن الكريم، كما في قوله - تعالى -: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

(١) الطب النفسي المعاصر، أحمد عكاشة، الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر (ص ١٦٥).

(٢) نهاية المحتاج (١/ ٤٥٧). انظر: الديان علي بن راشد، الوسوسة وأحكامها في الفقه الإسلامي، دار الأندلس الخضراء، جدة - السعودية (ص ٤٤٤).

الْخَنَاسِ ﴿٤﴾ [الناس: ٤]. وقوله: ﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ  
النَّاسِ ﴿٥﴾ [الناس: ٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ  
نُوسًا بِإِهْنَفْسِهِ﴾ [ق: ١٦].

## ٢- الوسواس في السنة المطهرة:

جاء الوسواس في السنة النبوية في مواضع متعددة منها: في (صحيح مسلم): عن عروة بن الزبير في الوسوسة في الذات الإلهية: أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله وليتته».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإن ذكر الله خنس، وإن غفل وسوس، وهو قوله - تعالى -: ﴿شَرُّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في (مستدرکه ٢/ ٥٩٠)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»، قال الذهبي في التلخيص: «على شرط البخاري ومسلم».

### ٣- أنواع الوسواس:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إن ما كرهته نفسك لنفسك فمن الشيطان؛ فاستعد بالله منه، وما أحبته نفسك لنفسك فهو من نفسك فانها عنه»<sup>(١)</sup>.

وهذا غالب تقسيم الفقهاء، وإن كانوا يختلفون في تفسيراتها، ولهم في ذلك تعريفات وتقسيمات أخرى دقيقة بين الوسواس والشك والوهم والتردد والفعل والترك، وغير ذلك.

ويحلو لبعض المعاصرين<sup>(٢)</sup> تقسيم الوسواس إلى ثلاثة أنواع:

**الأول:** وسواس تدعو الإنسان لمحرم شرعاً، وهي غير مرضية.

**الثاني:** وسواس عابرة غير مرضية في شأن الصلاة والطهارة.

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام بن تيمية (١٧/٥٢٩).

(٢) الدكتور طارق الحبيب في كتابه "مفاهيم خاطئة عن الطب النفسي".

الثالث: وساوس قهرية مرضية، وهي أفكار وحركات وخواطر.

وفي الحقيقة مع جودة هذا التقسيم إلا أن ذكر الله تعالى نافع فيها جميعاً، حتى تلك المرضية العضوية، ولو احتاجت في أسوأ مراحلها للتدخل الجراحي، شأنها في ذلك شأن كل علة، قال - تعالى -: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) [الإسراء]. قال ابن القيم - رحمه الله -: «القرآن شفاء لما في الصدر، يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوسواس والشهوات والإرادات الفاسدة»<sup>(١)</sup>.

وعقد ابن القيم فصلاً في "مدارج السالكين" يثبت فيه كون القرآن فيه شفاء القلوب والأبدان، حيث قال: «فصل في اشتغال الفاتحة على الشفاءين: شفاء القلوب وشفاء الأبدان»<sup>(٢)</sup>.

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ٩٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٢).

وتعبير ابن القيم (شفاء القلوب) دقيق جداً؛ لأن القلب هو الذي جاء في الوحي أنه يمرض ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]، ولم يثبت أن النفس تمرض لا بنص ولا بنقل، مع كثرة حديث الوحي عنها.

وتأثر النفس إنما هو بمرض وعائها الرئيس، ألا وهو القلب، لا أنها هي التي تمرض، لهذا لم أجد هذا التركيب (المرض النفسي، مرض النفس) في القرون الثلاثة الأولى أبداً.

وعوداً للوسواس فإنه على أي تقسيم للطب النفسي المعاصر للوسواس القهري فإن هذه الوسواس أياً كان مصدرها، الشيطان أو الوراثة أو الضغوط النفسية أو اضطرابات كهربائية أو كيميائية في مادة (السيروتينين) أو غير ذلك، إلا أن هذا العرض ترتبط به نصوص في الوحي المبين وأحكام شرعية خاصة لا يمكن تجاوزها في تفهم المشكلة وعلاجها.

جاء في صحيح مسلم عن عروة بن الزبير في الوسوسة في الذات الإلهية: أن أبا هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته». قال النووي رحمه الله تعالى: (فليستعذ بالله ولينته) معناه إذا عرض له الوسواس فيلجأ إلى الله - تعالى - في دفع شره، وليعرض عن الفكر في ذلك، وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان، وهو إنما يسعى بالفساد والإغراء، فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته، وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها.. والله أعلم<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث -أيضاً- عن عائشة رضي الله عنها: أن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، قال: «من وجد من هذا الوسواس فليقل: آمنت بالله ورسوله ثلاثاً؛ فإن ذلك يذهب عنه»<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح صحيح مسلم يحيى بن شرف الدين النووي (١ / ١١٩).

(٢) رواه ابن السني عن عائشة، انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١ /

وهو جواب مريح؛ لأن عدمه يعني الانخراط في سلسلة لا تنتهي من نفس السؤال.

## ٥ - تعلق الوسواس بالطهارة وأحكامها:

ومن ذلك ما جاء في السنة: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بال، ثم نضح فرجه<sup>(١)</sup>. وأخرج النسائي عن الحكم بن سفيان، قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا توضأ أخذ حفنة من ماء، فقال بها هكذا (وصفه شعبة) نضح بها فرجه.

وفي رواية قال: «رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توضأ، ونضح فرجه»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى الانتضاح في الحديث: رش الماء على الثوب ونحوه، والمراد به: أن يرش على فرجه بعد الوضوء ماء ليذهب عنه الوسواس

(١) صححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ٩١ / ١).

(٢) رواه النسائي (١ / ٨٦)، وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي: ١٣٥).

الذي يعرض للإنسان: أنه قد خرج من ذكره بلل، فإذا كان ذلك المكان نديًا ذهب ذلك الوسواس<sup>(١)</sup>.

ومن الإجراءات المريحة في هذا الصدد القانون الصارم الذي أجاب به النبي -صلى الله عليه وسلم- قطعًا للوسوسة في الطهارة، وهو حديث عبد الله بن زيد: شكى إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «فلا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا»<sup>(٢)</sup>.

## ٦ - تعلق الوسواس بالصلاة وصحتها:

عن الحارث بن هشام، عن أبيه: أن عمار بن ياسر صلى ركعتين فخففهما؛ فقال له عبد الرحمن بن الحارث: "يا أبا اليقظان، أراك قد خففتهما. قال: إني بادرت بهما الوسواس، وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن الرجل ليصلي الصلاة ولعله

(١) انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول (٧/ ١٤١).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (١/ ١٩١) ومسلم (١/ ١٨٩).

لا يكون له منها إلا عشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعها أو سدسها»  
حتى أتى على العدد<sup>(١)</sup>.

فهو أراد أن يبادر لإنهاء صلاته قبل أن يهجمه الوسواس  
فينقص أجرها.

ومن الإجراءات الواردة عن الوحي في أمر الوسوسة في الصلاة  
ما جاء عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي صلى الله  
عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين  
صلاتي وقراءتي، يلبسها علي. فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه،  
واتفل على يسارك ثلاثاً». قال: ففعلت ذلك؛ فأذهب الله عني<sup>(٢)</sup>.

والوسواس القهري له تعلق بالطلاق ووقوعه، وتعلق  
الوسواس بولاية القضاء وصحته، وغيرها من المباحث الكثيرة  
جدًا.

(١) رواه ابن حبان في (صحيحه ٢١٠/٥).

(٢) رواه مسلم (٢٠/٧).



وفي كل تلك المباحث نصوص من الوحي أو بيان من الفقهاء  
في تحرير الحكم الشرعي المتعلق بها.

## المصطلح الثالث: الاضطرابات الجنسية:

### Sexual disorders

الاضطرابات الجنسية اضطرابات شهيرة Sexual disorders، لكن هذا اللفظ والمصطلح النفسي (الجنس) بحاجة لمراجعة؛ فهو لفظ مفرغ من القيمة؛ ولهذا دخل فيه حتى أسوأ العلاقات بين البشر بشاعة وانحطاطاً.

ولهذا ورد في صحيفة "شرق تايمز": قال المكتب الأمريكي للإحصاء إن عدد الأسر الأمريكية التي تحوي أزواجاً مثليين، وفقاً لاستطلاع عام ٢٠١٠، ارتفع ليبلغ نحو ٩٠٠,٠٠٠ أسرة. ويظهر أن الرقم تضاعف مرات ومرات حتى الآن.

وأشار المكتب إلى أن هناك بعض الأخطاء في العملية الإحصائية دفعت المسؤولين إلى مراجعة الأرقام، والخروج بمعدل "مفضل" عند مستوى ٤٦٤, ٦٤٦ ألف أسرة.

وقال (مارتن أوكونيل) رئيس فرع الأسرة في مكتب الإحصاء:  
إن الأرقام المنقحة لا تزال تظهر الزيادة الهائلة في العدد الإجمالي  
من الأسر المثلية، أكثر من النتائج في التعداد السابق قبل عقد من  
الزمن<sup>(١)</sup>.

ومنظومة المصطلحات منزوعة القيمة - كما أسلفنا -  
الخادمة للحدثاء الغربية هي التي جنى بها العالم وبغيرها كثيراً من  
الولايات؛ لأن الجنس أضحى قضية طبيعية؛ فثار السعار، وبلغ من  
مداه انتشار ما يعرف بحالات الاغتصاب من مظاهر الممارسة  
المنحرفة؛ حيث نجد في الولايات المتحدة وحدها حوالي ٢٤٠  
حالة اغتصاب تحدث كل يوم؛ أي حوالي ٨٨,٠٠٠ حالة  
اغتصاب سنوياً، وهذا تقدير متحفظ<sup>(٢)</sup>.

### المنظور المقترح هنا:

(١) <http://www.sharqtimes.com/٢٠١١/١٠/٩٠٠.html>

(٢) McEvoy, A. W. & Brookings, J. B. (١٩٨٤). If she's raped: (٢)  
A book for husbands, fathers and male friends. Holmes  
.Beach, FL: Learning Publications

إعادة النظر في ترجمة كلمة (sex إلى جنس) حيث يقصد بها عندهم المعاشرة الزوجية؛ فلفظ (جنس) الذي ترجمت به الكلمة الإنجليزية (sex) لفظ لا يحمل المعنى المراد به ولا يعرف عند المتقدمين من أهل العربية هذا الاستعمال البتة، حسب ما أوصلني إليه البحث.

وهذه العملية بين البشر -المعاشرة الزوجية- لها أسماء ومصطلحات أخرى، يفهم منها الموقف الشرعي وأسلوب العلاج بمجرد وضع الاسم العربي.

فالاضطرابات الجنسية المثلية - مثلاً - هي لواط أو سحاق؛ وظاهر لك الحكم الشرعي بمجرد نقل الترجمة بهذه المصطلحات، وهكذا..

مزيد بيان للمقترح:

- المعاشرة بين الزوجين (جماع، ونكاح) ونحوها.

- المعاشرة بين رجل وامرأة ليسا بزوجين (زنا):

قال -تعالى-: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]. وقال -تعالى-: ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٥].

ونقل المناوي في "التوقيف" والراغب الأصفهاني:  
«أصل النكاح العقد، ثم استعير للجماع»<sup>(١)</sup>.

- المعاشرة بين رجل ورجل (لواط)، ونحوها:

جاء في لسان العرب قوله: (لاط الرجل لواطًا ولواط أي: عمل  
عمل قوم لوط)<sup>(٢)</sup>. وجاء في الحديث: عن ابن عباس قال: قال رسول

(١) المفردات للراغب (ص ٨٢٣)، التوقيف على مهمات التعاريف عبد الرحيم

المناوي، (ص: ٧١٠).

(٢) انظر: لسان العرب (٧/ ٣٩٤).

الله صلى الله عليه وسلم: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط؛ فاقتلوا الفاعل والمفعول به»<sup>(١)</sup>.

- المعاشرة بين أنثى وأنثى (سحاق) ونحوها:

السحاق: وهو إتيان المرأة المرأة. فهو محظور كالزنا، وإن خالفه في حدّه: لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «السحاق زنا النساء بينهما». والواجب فيه التعزير دون الحد؛ لعدم الإيلاج بينهما<sup>(٢)</sup>.

(١) صححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ٤/ ٥٧).

(٢) الحاوي في فقه الشافعي (١٣/ ٢٢٤). والحديث: أخرجه الطبراني (٢٢/ ٦٣)، والبيهقي في (شعب الإيمان ٤/ ٣٧٦)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٧٦). قال الهيثمي (٦/ ٢٥٦): «رجاله ثقات»، وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري، رواه الحاكم والبيهقي، ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان». انظر: إتحاف الخيرة المهرة (٤/ ٢٦٠).

وهذه التسمية (عربي مولد) كما قال المطرزي في (المغرب ١/ ٣٨٦): «وقيل مساحقة النساء لفظ مولد».

إلى غير ذلك من مسميات الاضطرابات المتعلقة بهذا المصطلح حين نعيدها للترجمة الصحيحة نجد مقابلاتها العربية تفيدنا بتفهم أكبر لحالة الاضطراب؛ وبالتالي بالموقف الشرعي منه والحكم الديني المرتبط به!

ويعجبني هنا الاستشهاد بعبارة الدكتور عبد العزيز الحربي، في كتابه (لحن القول): «ومقاصد الناس - ولو قبحت - لا تلغي مدلولات الألفاظ الأصلية، وطريقة رفضها لا تكون بالترك؛ بل بإبطال المعنى الفاسد، إلا إذا أبطلها الإسلام، وأمرنا بتركها، كما أمرنا بترك "راعنا"»<sup>(١)</sup>. وهو تأييد إلى أن اللفظة التي تحوي معنى فاسداً لا بد من رفض المعنى الفاسد فيها، خصوصاً حين يتوافر النص الشرعي بذلك!

وهنا استعملات مقبولة متداولة، وهي (زنا وجماع وسحاق ولواط ونحوها)، وهي كلها مستخدمة في كلام الناس اليوم، وهي

---

(١) لحن القول، عبد العزيز بن علي جابر الحربي، ١٤٣١هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان (ص ٣٤).

أسماء ومصطلحات لها حمولتها المفاهيمية، وهي الترجمة الصحيحة لمعظم الاضطرابات المتصلة بـ Sexual disorders، ومن هنا فلا ينبغي علاج الاضطرابات المتعلقة بها بإهمال تلك المواقف الشرعية المرتبطة بالاصطلاح العربي والاسم الإسلامي.

و حين نحضر هذه الأسماء ونحرر المصطلح؛ سنجد إسهامات كبيرة وكثيرة للعلماء عبر القرون في مواجهة نزوع النفس نحوها وميلها لفعلها، مثل كتاب "الداء والدواء" لابن القيم، وكتاب "كسر الشهوتين" للغزالي، وغيرها. والله أعلم.



## المصطلح الرابع: اضطرابات المراهقة

### Adolescent disorders

شاع في كتب علم النفس وعلم نفس النمو في إطلاق مصطلح المراهقة (Adolescence) على المرحلة العمرية الممتدة من البلوغ وحتى سن ٢١ أو ٢٤. فمن تعريفات المراهقة ما يأتي:

- المراهقة (Adolescence): تبدأ بالبلوغ وتنتهي إلى النضج<sup>(١)</sup>.
- المراهقة (Adolescence): تبدأ فترة المراهقة بالبلوغ، وتنتهي بالوصول إلى سن الرشد<sup>(٢)</sup>.

---

(١) قاموس علم النفس، حامد عبد السلام زهران، (١٩٨٧)، عالم الكتب، القاهرة - مصر (ص ٣٠)، حامد عبد السلام زهران (١٩٩٥)، علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة-مصر (ص ٣٢٣).

(٢) معجم علم النفس، فاخر عاقل، (١٩٧٩)، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان (ص ١٤).

- المراهقة تقع بين مرحلة الطفولة والنضج، وتمتد في الفترة الزمنية (٢٠-١٣)، وتتميز بحدوث تغيرات بدنية ونفسية واجتماعية<sup>(١)</sup>.

والحق أن جعل المراهقة مرحلة صادقة على ذلك السن يعد من الترجمة الخاطئة لهذا المصطلح؛ فالمراهق صبي من العاشرة إلى قبل البلوغ، فإذا بلغ لا يسمى مراهقاً بحال، وهذا هو الموافق للغة والنص الشرعي الديني الإسلامي.

والنص الشرعي حين تناول المراحل العمرية، وصنفها، ووضع لها مصطلحاتها ومسمياتها التي تليق بها وتناسبها؛ جعل لتلك الأسماء والمصطلحات أثراً في كثير من الأحكام والتوجيهات الشرعية، منها -على سبيل المثال:-

---

(١) معجم مصطلحات الطب النفسي، لطفي الشربيني، (٢٠٠٢)، مركز تعريب العلوم

الصحية التابع لمجلس وزراء الصحة العرب (ص٤).

مسائل قبول إسلام الصبي، ومسائل الرضاع والحضانة،  
ومسائل الصلاة والأمر بها والتأديب عليها، ومسائل الولاية على  
اليتم.

وقد تواردت أسفار العربية ودواوينها على تفسير واحد  
لمصطلح المراهق، فيقولون: «المراهق: الغلام الذي قارب  
الحلم». جاء ذلك في "العين" للخليل<sup>(١)</sup>، و "تهذيب اللغة"  
للأزهري<sup>(٢)</sup>. وقال ثعلب: يقال للصبي ... مراهق ثم محتلم<sup>(٣)</sup>.  
ويقرر ذلك فارس العربية ابن فارس حيث يقول في (معجمه):  
«والمراهق: الغلام الذي دانى الحلم»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار مكتبة الهلال، القاهرة - مصر  
(٣/٣٦٧).

(٢) الأزهري، محمد بن أحمد (٢٠١م)، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث  
العربي، بيروت - لبنان (٥/٢٦٠).

(٣) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (١٣٩٨هـ)، الأمالي، دار الكتب  
العلمية، بيروت - لبنان (٣/٣٩).

(٤) ابن فارس، أحمد بن فارس (١٣٩٩هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر،  
بيروت - لبنان (٢/٤٠٥).

ويقول الزمخشري في "أساس البلاغة": «صبي مراقق؛ مدان للحلم»<sup>(١)</sup>. وهي ذاتها عبارة المطرزي الخوارزمي في "المغرب"، والزبيدي في "تاج العروس"، والفيومي في "المصباح المنير"<sup>(٢)</sup>.

أما في السنة المطهرة، فقد وردت هذه المادة مرادًا بها المرحلة العمرية في مواضع متعددة من الأحاديث والآثار، ونسوق منها مواضع صريحة في إرادة المرحلة العمرية وفق ما قرناه:

**الموضع الأول:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لأبي طلحة: «التمس لي غلاما من

---

(١) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (١٤١٩هـ)، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (١/٤٠٠).

(٢) المغرب في ترتيب المغرب، مكتبة أسامة بن زيد، ناصر بن عبد الله الخوارزمي المطرزي، (١٣٩٩هـ)، حلب - سوريا (١/٣٥٥)، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن المرتضى الزبيدي، (١٤٠٩هـ)، وزارة الإعلام بالكويت (٢٥/٣٨٣). والمصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، (١٩٨٧م)، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان (مادة رهق).

(٣) قال الذهبي: (أنس قد خدم النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يحتلم، وقبل جريان القلم). سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان

غلمانكم يخدمني؛ حتى أخرج إلى خير». فخرج بي أبو طلحة مردفي، وأنا غلام راهقت الحلم، فكنت أخدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا نزل<sup>(١)</sup>.

**الموضع الثاني:** أثر عفيف بن عمرو الكندي رضي الله عنه، قال: كنت امرأ تاجرًا، وكنت صديقًا للعباس بن عبد المطلب في الجاهلية، فقدمت لتجارة فنزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى، فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت، فقام يصلي، ثم جاءت امرأة فقامت تصلي، ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلي، فقلت للعباس: من هذا؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ابن أخي، يزعم أنه نبي، ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة، وهذا الغلام، وهذه المرأة خديجة بنت خويلد امرأته، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب. قال عفيف الكندي -

---

(١٣/٢٣٢).

(١) رواه البخاري (٢٨٩٣).

وَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامِهِ-: «لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ؛  
فَيَكُونُ لِي رِبْعُ الْإِسْلَامِ»<sup>(١)</sup>.

**الموضع الثالث:** أثر عبد الله بن عباس أنه قال: صَلَّى رسول  
الله -صلى الله عليه وسلم- بمنى إلى غير جدار، فجئت ركباً على  
حمار لي، وأنا يومئذ قد راهقت الاحتلام، فمررت بين يدي بعض  
الصف، فنزلت وأرسلت الحمار يرتع، ودخلت مع الناس،  
فلم ينكر ذلك علي أحد<sup>(٢)</sup>.

ونوضح هنا ما حصل في نقل المراهقة، حيث نقل مصطلح  
(Adolescence) كما هو في اللغة الإنجليزية، وهو مصطلح  
موضوع لمرحلة الانتقال من البلوغ إلى النضج الجنسي؛ وتوصف  
تلك المرحلة في الكتب الغربية بالاضطراب و السفه والخفة؛  
فلما أريد نقل هذا المصطلح وجد المترجمون والنقلة أنه يتفق مع

---

(١) رواه الحاكم في (المستدرک ٢٠١/٣)، وقال: «صحيح الإسناد  
ولم يخرجاه». وسكت عنه الذهبي.

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (٢٧٣/٢)، وهو في البخاري (٧/٤) بلفظ (ناهزت  
الاحتلام).

كلمة: الرهق؛ وهي: السفه، والخفة، وركوب الشر .. فنقل المصطلح؛ وسهل انتزاع كلمة (مراهقة) من الرهق؛ اسما للمرحلة؛ فكل من يمر بهذه المرحلة: مراهق، والمرحلة: المراهقة، ثم أخذ كل ما في تلك الكتب عن (Adolescence)، وطبق على مسمى "مرحلة المراهقة"<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الطريقة التي ترجمت بها التسمية لهذه المرحلة خطأ يوضحه ما يأتي:

- المصطلح الغربي: (Adolescence) معناه: (الانتقال لمرحلة الرشد، أو النضج الجنسي). وليس معناه: السفه والخفة. ولو سلمنا جدلاً أن معناه السفه والخفة؛ فإن هذا معناه في اللغة: الرَّهَق، وليس المراهقة.

---

(١) وانظر في ذلك: كتب علم نفس النمو، والكتب والدراسات العربية عن المراهقة، وخذ مثالا وقع في يدي أثناء تحبير هذه الأسطر: المفدى، عمر بن عبد الرحمن، ١٤١٣هـ، في دراسة عن إشباع احتياجات الشباب في دول الخليج، من منشورات مكتب التربية بدول الخليج (ص ٩٣)، وغيرها كثير من الدراسات.

- العرب يقولون: رجل به رَهَق، لكنهم لا يقولون:

رجل مراهق البتة!

والفعلان (رَهَقَ) و(رَاهَقَ) فعلان متغايران؛ الأول: ثلاثي يدل على الطيش والسفه، والثاني: رباعي معناه: مقارنة البلوغ. فالفرق واضح في قول العرب: رجل به رَهَق أي سفهه، وقولهم: غلام مُرَاهَق أي مقارب للبلوغ<sup>(١)</sup>.

- المباينة وانقطاع العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاحي؛ الأمر الذي أجمعت مجامع اللغة العربية على رفض المصطلح المتسم به.

- تصريح العلماء الذين وضعوا الموسوعة الفقهية

الكويتية؛ حيث قالوا: (المراهقة: مقارنة البلوغ، وراهق الغلام والفتاة مراهقة: قاربا البلوغ ولم يبلغا، ولا يخرج

---

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة: رهق (١١٧٨)، تعرف كيف يفرق أهل العربية

بين رهق وراهق.

المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي؛ وبهذا تكون المراهقة والبلوغ لفظين متباينين<sup>(١)</sup>.

- توارد العلماء في الشريعة واللغة على إطلاق مصطلح المراهقة على مرحلة أخرى ليست هي مرحلة البلوغ، كما سبق بيانه.

وبهذا يتبين لنا الخطأ الذي وقع في ترجمة هذا المصطلح<sup>(٢)</sup>.

وفي مثل هذا يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله: «إن معظم تعاريفنا للظواهر الإنسانية تستند إلى تعريفات الغرب وتجاربه، فنحن نستورد كثيرًا من مصطلحاتنا من الغرب، وهو ما يبين إيماننا بمركزية الغرب، وعالميته»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الموسوعة الفقهية (١٤١٤هـ)، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، دار الصفة، القاهرة - مصر، حرف الباء (بلوغ) (١٨٧/٨).

(٢) للاستزادة الرجوع لكتاب: (دعه فإنه مراهق) للمؤلف.

(٣) العلمانية الجزئية والشاملة، عبد الوهاب المسيري، (١٤٢٦هـ) دار الشروق القاهرة، مصر (١/٥٩).



ومن هنا فإن الاضطرابات النفسية المتعلقة بالمراهقة ينبغي أن لا تعامل بعيداً عن هذه النظرة العربية الإسلامية التي تجعل البالغ مكلفاً، وتجعل المراهق صبيّاً لم يبلغ الأمر الذي يؤثر في التعامل مع مشكلات الأطفال والشباب بعلمية شرعية متزنة، تضع كل شيء في نصابه الصحيح .. والله أعلم.

الخاتمة



في نهاية هذه الجولة المصطلحية، والتي وقفنا فيها على محطات ثلاث:

**الأولى :** التأسيس للعلاقة بين المصطلح النفسي والمصطلحي القرآني برؤية تبدأ بوضع رؤيتنا الخاصة في العلوم النفسية، ثم نعطف إلى الثقاف مع الآخر ثانيًا، لنفتح على كافة الثقافات الجادة التي تبحث في قضايا النفس، بحيث نلج قضايا النفس من باب المصطلح؛ فهو باب كل علم.

**الثانية:** مررنا فيها بنماذج تطبيقية لمصطلحات قرآنية لم ترد في العلوم النفسية، ورأينا كيف أنها تقدم إضافات نوعية في حق النفس الإنسانية لا ينبغي للمشتغل بالعلوم النفسية في ثقافتنا إهمالها.

الثالثة: وقفنا فيها على مصطلحات نفسية، لا يمكن قبول كل مفاهيمها دون إحضار المفهوم القرآني لها المنسجم مع ثقافتنا، رأينا بأن المسترشد العربي والمسلم لا ينبغي تشخيصه وعلاجه وإرشاده بدون إحضار ثقافته العربية والإسلامية.

إننا في محطة تاريخية لا بد لنا أن ندفع بالثقافة النفسية التي نمتحها من الذات ومن ممتلكاتنا وبلغتنا، بأسلوب قادر على الانفتاح مع الآخر، أسلوب يتصل بالسما، مع وعيه بأنه واقف على الأرض.

فالعلوم النفسية الغربية بالذات كانت خلاصتها في حقيقة النفس هو شعار "الإنسان ذلك المجهول"، وهو ما يثبت أن التقدم اليوم فعلا تحقق في الجوانب المادية والتشريحية الحسية المتعلقة بالإنسان فحسب. وهي نتيجة طبيعية - كما يشير محمد رشاد خليل -؛ لأن النفس الإنسانية غيب تحتاج إلى نص ووحى وتوقيف.



وبهذا -أيضا- يعلم الباحثون والمختصون في العلوم النفسية من العرب والمسلمين أنه لا مفر من الجهد العلمي البحثي الجاد والشاق حتى تؤسس علومنا النفسية ونظرياتها المستقلة المنفتحة على كافة الثقافات ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلٌّ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].



## قائمة المصادر والمراجع



- ١ - أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري  
(١٤١٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢ - الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيقوفيش،  
مؤسسة بافاريا - ألمانيا، ١٩٩٧م.
- ٣ - الإسلام وعلم النفس، لنزار العاني، من مطبوعات  
المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٢٩هـ.
- ٤ - إشكالية المصطلح في الفكر العربي، علي إبراهيم  
النملة، ١٤٣١هـ، بيسان، بيروت - لبنان.
- ٥ - الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي،  
(١٣٩٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٦ - الإنسان ذلك المجهول - ألكسس كاريل - مكتبة  
المعارف - بيروت، تعريب: أسعد فريد.

- ٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن المرتضى الزبيدي (١٤٠٩هـ)، وزارة الإعلام بالكويت.
- ٨- التربية الإسلامية عند أبي الحسن الندوي، محب الدين أبو صالح، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، ١٤٢٣هـ.
- ٩- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، (٢٠٠١م)، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.
- ١٠- دور الفلسفة المعاصرة في العلاجات النفسية، لمحمد عباس يوسف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ١١- الدين في مواجهة العلم، لوحي الدين خان، دار النفائس.
- ١٢- الدين والصحة النفسية، لآزاد علي إسماعيل، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٣٥هـ.
- ١٣- صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية، لإسماعيل الفاروقي، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٠٩هـ.

١٤- الطب النفسي المعاصر، أحمد عكاشة، الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر.

١٥- علم النفس الحديث من منظور إسلامي، مالك بدري، ضمن أعمال مؤتمر المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، ١٤١٢هـ.

١٦- علم النفس في التراث الإسلامي، إشراف: محمد عثمان نجاتي، وعبد الحليم محمود، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٨.

١٧- علم نفس النمو، حامد عبد السلام زهران (١٩٩٥)، عالم الكتب، القاهرة - مصر.

١٨- العلمانية الجزئية والشاملة، عبد الوهاب المسيري، (١٤٢٦هـ)، دار الشروق، القاهرة - مصر.

١٩- العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم: تأصيل الصلة، محمد الفقيه، ٢٠٠٧، دار المعرفة، الرباط - المملكة المغربية.

٢٠- على طريق المدرسة العربية للعلوم النفسية، محمد أحمد النابلسي، ٢٠١٠، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ٢٧-٢٨، صيف وخريف.

٢١- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار مكتبة الهلال، القاهرة - مصر.

٢٢- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، المسيري عبد الوهاب، ١٤٢٣هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان.

٢٣- قاموس علم النفس، حامد عبد السلام زهران، (١٩٨٧) عالم الكتب، القاهرة - مصر.

٢٤- قول في المصطلح، الشاهد البوشيخي، ١٤٢٢هـ، مجلة دراسات مصطلحية، تصدر عن معهد الدراسات المصطلحية بجامعة سيدي محمد عبد الله بفاس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية. العدد الأول.

٢٥- كتاب النفس لأرسطو طاليس ترجمة أحمد الأهواني،

## المركز القومي للترجمة ٢٠١٥

٢٦- لحن القول، تصويب وتغليط لألفاظ وجمل شائعة،

عبد العزيز بن علي جابر الحربي، ١٤٣١هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

٢٧- اللغة والمجاز، لعبد الوهاب المسيري، الشروق،

القاهرة - مصر، ٢٠١٠.

٢٨- مشكلات ترجمة المصطلحات في علم النفس،

لعبد الناصر السباعي، ضمن أعمال ندوة قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٠م.

٢٩- المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، (١٩٨٧م)،

مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، (مادة رهق).

٣٠- المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزية الثقافية،

عبد الله إبراهيم، ٢٠٠٤، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت - لبنان.



٣١- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، للإمام الغزالي،  
دار كيرانيس تونس، ٢٠١٤.

٣٢- معجم علم النفس، دار العلم للملايين، فاخر عاقل،  
(١٩٧٩)، بيروت - لبنان.

٣٣- معجم مصطلحات الطب النفسي، لطفي الشريبي،  
(٢٠٠٢)، مركز تعريب العلوم الصحية التابع لمجلس وزراء  
الصحة العرب.

٣٤- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (١٣٩٩هـ)، دار  
الفكر، بيروت - لبنان.

٣٥- المغرب في ترتيب المغرب، ناصر بن عبد الله  
الخوارزمي المطرزي، (١٣٩٩هـ)، مكتبة أسامة بن زيد، حلب -  
سوريا.

٣٦- مفهوم الإنسان في القرآن: قراءة في كتاب "مبدأ الإنسان  
الطيب"، بوعزة، مجلة دعوة الحق العدد ٣٤٢، ١٤١٩هـ.



٣٧- "تصنيف المراحل العمرية"، لعبد الله الطارقي، نشر  
مركز قراءات، ١٤٣٧ هـ.

٣٨- الموسوعة الفقهية (١٤١٤ هـ)، من منشورات وزارة  
الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويتش، دار الصفوة، القاهرة،  
مصر، حرف الباء (بلوغ).

٣٩- نظرات في تعريب العلوم الصحية وأهميته في المصطلح  
الصحي في التراث، الشاهد البوشيخي، ٢٠٠٨، مبدع، فاس -  
المغرب.



## مصادر أخرى:

١- <http://www.sharqtimes.com/٢٠١١/١٠/٩٠٠.html>.

٢-McEvoy, A. W. & Brookings, J. B. (١٩٨٤). If she's raped: A book for husbands, fathers and male friends. Holmes Beach, FL: Learning Publications.

تم بحمد الله تعالى

كتابات الدكتور عبد الله الطارقي حول المصطلح النفسي  
اجتهاد في الاتجاه الصحيح، أعدّه لبنهٔ أولى نحو تأسيس  
مراجع تثري المكتبة النفسانية العربية وعودًا لجيل من  
الأساتذة والأطباء والطلبة.

د. جمال التركي

كتاب «كل نفس» تتبع عددًا من المصطلحات النفسانية  
وتناولها بالنقد والتمحيص، وعرض لها بدائل إسلامية  
بطريقة علمية ومنطقية.

أ.د. صالح الصنيع

السبيعي  
الخيرية

